سلسلة «الأديان السرية» (٤)

أنور ياسين

العجل والشيطان في العقيدة الدرزية

١٣ آب ١٩٨٥

ذكرى مرور ألف سنة على "ظهور" الله في شخص الحاكم بأمر الله، و"وجود" العقل الكلي في شخص حمزة بن علي، قائم الزمان، وهادي المستجيبين.

باريس ١٩٨٥

صدر في « سلسلة الاديان السرّية »

مقدّمة

ألدِّين الدرزي، منذ نشأته، يكتنفه الكتمان والتقيّة. وفي مساره التاريخي، عبر الأجيال، ظاهره إسلامي وباطنه لعنة على الإسلام ونبيّه. وفي عقيدته الجوهريّة، في مجموعة «رسائل الحكمة»، ألغاز ورموز، يجدر التوقّف عندها، ولو بصعوبة، لنتبيّن حقيقتها، بأمانة العلم والكشف عن الحقيقة.

ظاهرة هامّة تداولها الناس، عبر العصور، تستحق البحث والشرح، هي قصّة العجل وعبادته. لا الدروز يلقون عليها ضوءًا، ولا هم يتركون غيرهم يَحلّون لغزَها. وبقي الناس فيها حيارى، يختلط عليهم مفهومُها، ومدلولُها، وصحّةُ نسبتها. وإلى اليوم نسأل: هل الدروز يعبدون العجل حقًّا؟ ومَن هو العجل؟ وما المقصود به؟

وزاد الأمر تعقيداً عندما تناولها المستشرقون والباحثون والمؤرِّخون، وراحوا يفسّرونها وفق هواهم، وتبعاً لما عاينوا، أو قرأوا، أو سمعوا... والدروز لا يحلّون مشكلة، ولا يكشفون سرّا، ولا يشيرون إليها بكلمة... وعندما وقعنا على كتب «الحكمة» وعلى تفاسيرها، تجرّأنا على إبداء رأينا وقول كلمة الفصل فيها، من دون مواربة.

وقصّة العجل، عند الدروز، من أوّلها إلى آخرها، في ظاهرها وباطنها، وفي حقيقتها ومجازها، تأخذ أساسها من القرآن. والقرآن، بدوره، يعتمد على التوراة. إلاّ أنّ معانيها، في الدرزيّة، تتخطّى مقصود التوراة والقرآن معاً. وتنقلب، مع «رسائل الحكمة»، رأساً على عقب. ويغور «العجل»، مع دروز اليوم، في سرٍّ هائل حتّى التناقض.

والشيء نفسه ينطبق على لفظ «الشَّيصَبَان»، التي ندر استعمالها في اللّغة العربيّة، وانتفتْ، من القرآن والأحاديث النبويّة والشِّعر الجاهلي والمصادر اللّغوية، انتفاءً يكاد يكون تامًّا... واقتصر استعمالها على الكتب

الدرزيّة فقط. وعلى نطاق واسع، فـوردتِ اللفظة عشرات المرّات في «رسائل الحكمة» والتفاسير الدينيّة.

وقد يعني «الشـيصبان»، في الدرزيّة، مـا يعنيه في اللّغة العربيّة غير المألوفة الاستعمال، ولكن بمعانٍ خاصّة، وبمداليل شَيطانيّة. وقد لا تطلق، في الحصر، إلاّ على علي بن أبي طالب، وذلك بسـبب مـوقف الدروز العـدائي منه. على هذا، فـإنّنا نـعطيـهـا المعـاني التي يقـصـدونهـا في العبارات الكثيرة التي وردت فيها.

وقصـدنا، لا أن نوضح قصَّة العـجل والشيصـبان ومـدلولها الدرزي فـحسب، بل أن نَـحلّ مشكلةً مـعقّـدةً، حيث التبستْ الحقيقـةُ على النّاس العاديّين، وضـاعوا فيما بين الباطن والظاهر، وضلّوا في متـاهات الألغاز والرموز، إلى أن غـاصـوا في الأوهام، ممّا أودى بهـم إلى التناقض والضلال.

وما زال العديد منهم يسأل عن صحّة عبادة الدروز للعجل: أهي تهمة أم حقيقة؟ وهل هم يعبدون العجل حقًا؟ ومَن هو هذا العـجِل المعـبـود؟.. أم أنّهم يتسـتّـرون، من

منطلق التـقيّـة والمســايرة، وراء هذه العـبادة، فـيمـا هم يقصدون غير ما يُظهرون؟

هذا مـا دعـانا إلى البحـث والتدقـيق في نصــوص «رسائل الحكمة» التي ترد فيها لفظتـا العجل والشّيصبان ومثيلاتها، لنحيط إحـاطة تامّة بالمعنى الحقيقي الذي أُريد لها، ونتـوقّف على ما ترمـز إليه، ونسـير مع الدروز، في ظاهرهـم وباطنهـم، تاركين الأوهام والـتّـهم، ورابـطين النتائج بعـضها ببعض، ومعـتمدين على مجـمل معطيات العـقـيـدة والدِّين، وذلك خـشـية العـثـار مع مَن عـثـر، والانجـراف في تيّار عـامّة الناس ومـعظم المسـتشـرقين والباحـثين. فمـا هي قصـة العجل والشـيصـبان، إذاً، من البداية حتّى النهاية؟

أوّلاً – العجل في التّوراة والقرآن :

جـاء في التّوراة أنّ مـوسى، لمّا صـعد إلى الجـبل، ليصلّي إلى اللّه من أجل بني إسـرائيل، تقدّم هـارون أخوه «وأخـذ من أيديهم شُنـوفَ الذَّهَب، وصـوّرها في قـالبٍ،

وصنعَها **عِجْلاً** مَسبُوكاً. فـقال بنو إسرائيل: هذه آلـهتُكَ يا إســرائيل التي أخرجـتْكَ من أرض مـصـر... فـسَجَـدوا له وذَبَحوا له».. فلمّا نزل موسى من الجبل، و«دنا من المحلّة، رأى **العِجْلَ** والرَّقْصَ، فاتَّقَد غـضبُه.. ثمّ أخذ **العِجْلَ** الذي صنعوه، فأحرَقه بالنّار، وسحَـقه حتى صار ناعماً، وذرّاهُ على وجـه الماء، وأسـقى بـني إسـرائيل».. فـقـال هارون للشــعب: «مَن له ذَهَبٌ فَانْـزعُوهُ، وأتُوني به. فطرحـه في النار، فخرج هذا **العِجْلُ**... وضرب الربُّ الشـعبَ من أجل أنّهم عبدُوا **العِجْلَ** الذي صنعه هارون»[1]

قصّـة التوراة هذه جاءت في القرآن كـما هي، ولكن بأسلوب مميّز ممّا جـعل التفاسـير حولها تتـعدّد وتتنوّع بحسب أهواء كلِّ مفـسّر من كلِّ فرقةٍ إسلاميّة أو مـنتمية إلى الإسلام. جـاء في سورة البقرة: «وَإذ وَاعَـدْنا موسَى أربعين ليلةً، ثمّ اتّخـذتم **العِجْلَ** من بعـدِه، وأنتم ظالمون... وإذ قـال مـوسى لقـومِـه: يا قـومُ! إنّكم ظلمـتم أنفـسكم

---

(١) سفـر الخروج ٣٢/ ٤ و ٨ و ١٩-٢٠ و٢٤ و ٣٥؛ أنظر نحمـيا ٩/ ١٨ ، مزمور ١٠٦/١٩ .

باتّخاذِكُمُ العِجْلَ. فتوبوا إلى بارئكم... ولقد جاءكم موسى بالبيّنات. ثمّ اتّخذتم العِجْلَ من بعده. وأنتم ظالمون... وأُشْرِبوا في قلوبِهِم العِجْلَ بكفرِهم»[٢].

وجاءَ في سورة الأعراف: «واتّخذ قومُ موسى، من بعده، مِن حِليِّهِم، عِجْلاً جَسَداً، لَهُ خُوَارٌ. لم يروا أنّه لا يكلّمهم، ولا يهديهم سبيلا. اتّخذوه وكانوا ظالمين»[٣].

وفي الأعراف أيضاً: «إنّ الّذين اتّخذوا العِجْلَ سَيَنَالُهم غضبٌ من ربّهم وذّلةٌ في الحياة الدنيا»[٤].

وفي سورة طه، قال: «فأَخْرَجَ لهم عِجْلاً جَسَداً، له خُوار. فقالوا: هذا إلهكم وإله موسى فنسيَ»[٥].

وتصف سورة هود هذا العجل بأنّه «عِجْلٌ

(٢) سورة البقرة ٢/ ٥١، ٥٤، ٩٢، ٩٣. أنظر سورة النساء ٤/ ١٥٣. معنى: "أربعين ليلة" أي أنّ اللّه يعطي موسى التوراة بعد انقضاء أربعين ليلة. أنظر سفر الخروج ٢٤/ ١٨، تثنية الاشتراع ٩/ ٩.

(٣) سورة الأعراف ٧/ ١٤٨، معنى «جسداً» أي «بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد» (الزمحشري).

(٤) سورة الأعراف ٧/ ١٥٢.

(٥) سورة طه ٢٠/ ٨٨.

حَنيذ»[٦]، أي مشويّ،

وسورة الذاريات بأنّه «**عِجْلٌ** سمين»[٧].

ويعلّق مفسّرو القرآن قائلين: إنّ سَامريًا[٨] جمع أساورَ وحِلى وقلائد، وكان قد سلبها اليهودُ من المصريّين، ثمّ ذوّبَها، وصنع منها رأسَ عِجل. أمّا خُوار العجل فهو التراب والحصى المتطاير من تحت أقدام فرس جبريل، التقَطها السامريُّ ووضعَها في فم ذاك العِجل. وعصفت الرياح، وصفرت في فم العِجل، فسُمع له صوتٌ سمّي خُوارًا[٩].

ولئن اختلف القرآنُ عن التوراة في هويّة صانع

---

(٦) سورة هود ١١/ ٦٩.

(٧) سورة الذاريات ٥١/ ٢٦.

(٨) في التوراة هو هارون أخو موسى. ولكنَّ المسلمين يتّهمون سامريًا أحدَ أعداء اليهود، وذلك لاعتبارهم هارون أحد الأولياء الصالحين.

(٩) أنظر مثلاً تفسير الجلالين على سورتَي الأعراف ٧/ ١٤٨ وطه ٢٠/ ٨٨، والكشّاف للزمخشري. يقول الزمخشري: «إنّ السامري قبض قبضةً من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في العجل فكان عجلاً له خُوار».

العِجل، أهو هارون أم السامريّ، فأنهما يتّفقان على تصوير غضب موسى، وعلى إحراقه العجل، وسحقِه، حتى صار ناعماً، ثمّ مزج الرماد بالماء حتى أسقاه بني إسرائيل. لكأنّ الكفر، الذي هو العجل، يَشربُه الكافر شرباً، لسهولة نفاذه في قلوب الكافرين.

ثانياً – العجل عند الدروز هو الضد :

ليس العجلُ، عند الدروز، صنَمَ الذَّهب، كما هو عند اليهود والمسلمين، بل «العِجلُ هو ضدّ وليِّ الزَّمان (أي حمزة)، الذي هو القائم بجميع الحدود[١٠]... وهو يتشبّه بقائم الزمان، بلا حقيقيّة ولا برهان. فإيّاكم أن تظنّوا بأنّ الضدّية لمولانا (الحاكم) سبحانَه، لأنّه (أي الحاكم) بلا شبيهٍ ولا ندٍّ ولا نظير. والضدُّ لا يكون إلاّ للشكل

---

(١٠) حدود دعوة التّوحيد خمسة: العقل والنّفس والكلمة والسابق والتالي، يظهرون في كلِّ دورٍ في أشخاصٍ بشريّة. في دور الحاكم ظهروا على التوالي: في حمزة وإسمعيل ومحمّد بن وهب وأبو الخير سلامه وبهاء الدِّين المقتنَى.

والمِثل»[١١]. معنى ذلك أنّ العجل هو ذاك «الضدّ» الذي وُجِدَ، منذ الأزل، من معصية قائم الزمان، أي «العقل الكلّي»، وبإزائه. وكاد «الضدّ» أن ينقلب على «العقل» ويتغلّب عليه لولا أنْ خلقَ اللّهُ للعقل مُعِيناً عليه. وهذا المعين هو «النفس».

جاء في تفاسير الحكمة الدرزية، إنّ العقل «لمّا سكن في توحيد مبدعه، واستقرّ باطمأنّيّة اليقين، فتولّد من ذلك السكونِ برودةٌ وهي المعصية. وعندما سكن العقل مطمئنًا إلى ذاته، ونظر إلى نفسه بعين الفردانيّة (أي التفرّد بمنزلته) والعظمة ورأى ذاتَه لا نظير يشاكله، ولا ضدّ يقاومه، ولا ندّ يعادله... تولّد من هذه النظرة إلى الذات الضدُّ اللَّعين»[١٢].

لقد «وجد الضدّ»، إذاً، من «إعجاب العقل بنفسه»،

---

(١١) رسالة البلاغ والنهاية، رقم ٩ صفحة ٧٥، ورسالة الجزء الأوّل من السبعة أجزاء، رقم ٤١ من مجموعة «رسائل الحكمة».

(١٢) مختصر البيان في مجرى الزمان، مخطوط باريس ١٤٤١ ورقة ٨ أ وما بعدها.

وظهر منه بغير مُراده، وكرهاً منه. وفي ذلك بيان قدرة اللّه الذي يخلق من نورِ العقل ظلمةَ الضدِّ.

إلاّ أنّ اللّه أمر «الضدّ» بطاعة العقل، فأبى وخاصم ونازع وتكبّر وطلب الرئاسة على العقل. فعلم العقلُ أنّها محنة ابتلاهُ اللّهُ بها لمّا نظر إلى ذاته وأُعجب بنفسه، فأقرّ عند ذلك العقلُ بالعجز والضعف، واستغفر اللّهَ عن ذنبه، وتضرّع إليه ليوجِد له «مُعِيناً» على الضدّ المخالف. فخلق له «النفس»... وهكذا صار الضدُّ سبباً لوجود النفس.

وكان وجود النفس، إذاً، من بين نور العقل وظلمة الضدّ، لأنّ العقلَ والضدَّ سبقا في الإبداع. لكنّ الغالب في النفس من نور العقل الذي أُفيض عليه منه الجزء الكبير[١٣].

«وسُمّي الضدُّ عِجلاً لأنّه ناقصُ العَقلِ، عَجُولٌ في أمرِه، لـه خُوَار»[١٤]. معنى ذلك أنّ الضدَّ استعجل في

---

(١٣) المرجع نفسه و ورقة ١٠ أ وما بعدها. أنظر «كتاب النقض الخفي»، رقم ٦.

(١٤) رسالة الغيبة، رقم ٧.

معـصيـةِ العقل فـهو «عَـجول»، وهو ناقص الـعقل فـهو «عِجل»، وله خُـوار لأنّه أراد أن يُسمعَ اللّهَ صوتَه العـجّاج ليـسبقَ العـقلَ إلى التـقرّب منه، ويَطلـب لنفسـه الإمامـةَ والرئاسـة... إلاّ أنّ العليَّ عـرف قـصدَه، فـرذلَه، وأوجـدَ للعقل قوّةً، فـخلق له «المُعين» وهو «النفس»... ولكنّ الضدّ ما زال يراوغ ويخـاصم حتّى أوجـد لنفسه «مـؤالِفًا»، أي مُعـيناً يسـاعده على العـقل والنفس معـاً. وسمّي «مـعينُ الضدّ» مـؤالِفًا، أو أساسًـا، و«سُمّي الأساس مـؤالِفًا لأنّه يؤالِفُ الضدَّ على جميعِ مفاسده»[١٥].

وبذلك أصـبحت «حـالةُ الازدواج في كلٍّ شـيء، مـا بين نورٍ وظلمـة، وطاعـةٍ ومـعـصيـة، وهدايةٍ وضـلال، ونقصٍ وكمال، وتوحـيدٍ وتلحيد، ونفوسٍ باقيـة وأجسادٍ فانيـة، وفرائضَ توحيديّة ودعـائمَ تكليفيّـة، ودَور كشف ودَورستْر»[١٦]. هذا الازدواج بين العقل والنفس من جهة، والضدِّ والأساس من جـهة ثانية، هو سبب وجـود الخير

(١٥) مختصر البيان في مجرى الزمان، ورقة ١٠ ب.

(١٦) المرجع نفسه، ورقة ١٥ب.

والشــرّ في العــالم. ولنقــلْ أيضــاً هو ســبـب الدرزيّة التّوحــيديّة من جهــة، ووجود الكفــر والشرك في الأديان جميعها من جهة ثانية.

ثالثاً – العقل هو حمزة والعجل هو الدرَزي :

لم يكن حمزة ليتصــوّر ما جرى في بدء الخلقية بين «العقــل» و «الضدّ» لو لم يحــدث له ما حدثَ مع نَشْــتَكين الدَّرَزي. وقصــة ذلك أنّ حمزة والدَّرَزي اتّفــقا سنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤م على إعلان ألوهيّة الخليــفة الحاكم بأمر اللّه، وفتْحِ بابِ الدّعوة التــي أسمياها « دعوة التّــوحيد». وراح كــلاهما يتــوزّع الأدوار والمهامّ. فكان حظّ الدَّرزي العــملَ في بلاط الخليفة، بين الغلمان ومــوظّفي القصر. فسُرَّ منه الحاكم جدًا، «وفــوّض الأمورَ إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث أنّ الوزراء والقوّاد والعلمــاء كانوا يَقفون على بابه. ولا ينقــضي لهم شغل إلاّ عــلى يده. وكان قــصدُ الحــاكم الانقيادَ إلى الدَّرزي المذكور فيطيعونه»[١٧].

---

(١٧) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤ / ١٨٤.

واستغـلّ الدَّرزي موقعَه في القـصر، وتسلُّطَه على بيت المال. و«غَـرَّه مـا كـان يَـضـربُه من زغْل الدنـانيـر والدراهـم»[١٨]، على حدّ قـولِ حمـزة عنه. واستقلّ بـكتابة الرِّقاع إلى بـعض دعاة الإسمـاعيليّين، فكتب إلـى خَتْكين داعي دعاة الإسماعـيليّة، يطلب إليه الانضواءَ تحت لوائه، كما كَـتبَ إلى وليّ العهد عبد الرحـيم بن الياس الذي كلّفه الحاكـم بالولاية على حسـاب ابنه عليّ، وكتبَ أيضـاً إلى مـتولّي الغلمـان الأتراك... وإلى غيـرهـم[١٩]، يدعوهم إلى دعوته.

وظنّ نفســه، أمامَ إذعـانِ الناس له والسلطان الذي ناله، أنّه أولَى بالإمـامـة من حـمـزة، الذي، بدوره، جـمع الدعاة، وكـتبَ لهم، واتّخذ مقـرّه «مسجـد رَيْدَان، خارجَ أسـوار القاهرة، مـركَزًا لهـم يجتـمعـون فيـه»[٢٠]. وظنّ

---

(١٨) رسالة الغاية والنصيحة ١٠.

(١٩) تاريخ الانطاكي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ص ٢٢٢–٢٢٣.

(٢٠) د. عـبـاس أبو صـالح، بالاشـتـراك مع د. سـامـي مكارم، تاريخ الموحّـدين الدروز السـياسي في المشـرق العـربي، المجلس الدرزي للبحوث والانماء، ١٩٨٠، ص ٦٠.

الدَّرزي أيضًا أنّه يستطيعُ إعلانَ الدعـوة المتفق عليها، قبل أوانهـا، ليسـبق حمـزة إلى رئاسـتـها، فـ «اسـتعـجلَ في أمرِه»، وباشرها فعلاً، وأعلنها سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، في الوقت الذي اتّفق مع حـمزة على إعلانـها سنة ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧م.

اتّسـعتْ شـقّةُ الخـلاف بين الإثنين، وحـزّ ذلك في نفس حمـزة، فكتب إليه غـاضبـاً معاتبـاً: «إنْ كنتَ تدّعي الإيمانَ فأَقِـرَّ لي بالإمامـة، كما أقـررتَ في الأوّل... حتى تصحَّ عبادةُ مولانا (الحاكم)... فإذا فعلتَ هذا مالتْ قلوبُ العالَم إلينا، وارتفعتْ ألسنتُهم عنّا»[٢١].

إلاّ أنّ الدّرزي مضـى في غيِّه وغطرسـته ومعاندته، و «أظهـر الضـدِّيَّة»، وأصـبح، بنظر حـمـزة والدروز من بعده، «الضدّ اللّعين»، و «العـجل» العجول في أمره؛ بل هو مثال كلِّ ضدٍّ. لقد كـان الدرزي «طائعاً لباريه، إلاّ أنّه أظهر المنافسة، وطلب اللَّعينُ الرئاسـة... وأظهر الضدّيَّة، وجادل

---

(٢١) رسالة الرضى والتسليم ١٦.

باريه»[٢٢]، تماماً كما فعل «الضدّ» في البدء.

وبذلك أصبح الدَّرزي متغطرساً متكبّراً متعسّفاً مدّعياً حاسداً وعاصياً. قال فيه حمزة: «و**غطريس** هو نشتكين الدَّرزي الذي تغطرس على الكشف[٢٣]، بلا علم ولا يقين. وهو **الضدّ** الذي سمعتم بأنّه يظهر من تحت ثوب الإمام، ويدّعي منزلتَه، ويكون له **خُوار**، جولة بلا دولة، ثمّ تنطفي نارُه»[٢٤].

وعنه قال أيضاً بأنّه «**الخنزير** الذي هو الضدّ الرُّوحاني المشبِّه روحَه بمولانا جلّ ذكره، وقد دعوتُه ورضيَ بذلك، وأقرَّ لي بالعبوديَّة، ضرورةً لا ديانة»[٢٥]. ومنه حذّر بقوله: «إحذروا مَن غرَّهُ الشيطان. فإنّ الضدّ يَظهر من بيت الوليِّ، ظاهره ديانة وباطنه خيانة»[٢٦]. ثمَّ

---

(٢٢) الكتاب المعروف بالنقض الخفي ٦.

(٢٣) دور الكشف هو عندما يكشف اللّهُ عن ذاته ويَظهر لخلقه بصورةٍ ناسوتيّة. وهو خلاف دور الستر.

(٢٤) رسالة الغاية والنصيحة ١٠.

(٢٥) رسالة الرضى والتسليم ١٦.

(٢٦) رسالة الغيبة ٣٥.

كتب إليه تحذيراً آخَر يقول لـه فيه بأنّ الإمامة «لا تنقسم في شخصَين في وقتٍ واحد، إذ كانتِ الإمامة نوراً كلّيًا شعشعانيًا، لا يتجزّأ، ولا يدنّسه ندّ، ولا يغيّره ضدّ»[٢٧]. وبسببه أيضاً قال: «والعجل هو ضدّ ولي الزمان»[٢٨].

فكما خرج الضدّ من معصية العقل في دور العليّ الأعلى[٢٩]، هكذا خرج الدَّرَزي من معصية حمزة في دور الحاكم. وكما كان للضدّ، في البدء، «مؤالِفٌ» يُعينه على غطرسته ومعصيته، كذلك كان للدَّرَزي، في هذا الدور، مُعينٌ، هو البُرذُعيّ الذي «فتح له (الدَّرَزي) أبوابَ البلايا والكفر»[٣٠]. وكلاهما، أي الدَّرَزي والبُرذُعيّ «نطقا بغيرِ معرفة ولا علْم. وعملا لغير وجهِ مولانا جلّ ذكره. وأعليَا البناء (أي دعوة التَّوحيد) بغير أساس»[٣١]. وكما يمثّل

(٢٧) رسالة الصبحة الكائنة ١٩.
(٢٨) أنظر حاشية ١١.
(٢٩) دور العلي الأعلى هو الدور الأوّل الذي كشف الله فيه عن ذاته من بين الادوار الاثنين والسبعين.
(٣٠) رسالة الرضى والتسليم ١٦.
(٣١) المرجع نفسه مشيراً إلى سورة ص ٣٨ / ٧٦ من القرآن.

الضدُّ والمؤالِفُ الكفرَ والشِركَ، هكذا يمثِّل الدَّرَزيّ والبُرذُعيّ، في أيّام حمزة، الكفرَ والشِركَ نفسَيهما.

ونظرًا إلى الخلاف الجسيم الذي حصل بين حمزة والدَّرَزيّ وأتباعهما، نشبت بين الفريقَين معركةٌ ضاريةٌ كادت تقضي على حمزة وجماعته لولا «أنْ أطلَّ الحاكمُ مِن شرفةِ قصرِه المشرفِ على المسجد (حيث دار القتال). فلمّا رأتِ الجموعُ الخليفةَ كَفّوا عن القتال، وتراجعوا. ورُفع عن حمزة الحصار، ليعودَ بعودة الحاكم ونصرته إلى سابق عهده»[٣٢].

وهرب الدَّرَزيُّ من القاهرة، بعد «أن ثار الناسُ عليه، وقَصدوا قتلَه.. وأنكر الحاكم أمرَه خوفًا من الرعيّة، وبعث إليه في السرِّ مالاً، وقال: أُخرُجْ إلى الشام، وانشرِ الدَّعوة في الجبال، فإنّ أهلَها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم اللّه بن ثعلبة، غربي دمشق، من

---

(٣٢) تاريخ الموحِّدين الدروز، المذكور آنفاً، ص ٦٤-٦٥، وهو يستشهد برسالتين من الحكمة هما: ١٠ و ١٩، وهو أمر نادر عند المؤلِّفين الدروز.

أعمال بانياس. فقرأ الكتابَ على أهلِه، واستمالَهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال»[٣٣].

وتبع الدَّرَزيَّ أناسٌ كثيرون، سمُّوا باسمه. ولكنّ الدَّرَزي لم يكتبْ بيده أيّةَ رسالة تشير إلى تعاليمِه، ولم يحظَ بأيّةِ رسالةٍ من رسائل حمزة، رغم أنّه طلب منه ذلك مراراً، ولكنْ مِن دون جدوى. وقد أشار حمزة إلى ذلك بقوله: «قد سألَني مراراً بكثرةٍ أن أدفعَ إليه شيئاً من كتب التَّوحيد، ممّا ألّفتُه، فلم أفعلْ ذلك ممّا تفرّستُ فيه من العاقبة الردّية... ولم أفعلْ أسلّمْه شيئاً مما طلبَه. فتَردّى بالكبرياء، وقال: أنا خيرٌ منه (أي من حمزة) وأعلَى. ولم يعلمْ بأنّ الغالبَ مَن أعانه المولى جلّ ذكرُه»[٣٤].

ونحن لا نعرف من تعاليم الدَّرَزي سوى ما نقلَه إلينا ابنُ قزأوغلي في مرآة الزمان حيث يقول: وقرّر (الدَّرزي) في نفوسهم (أي في نفوس أهل وادي التَّيم)

---

(٣٣)ابن قزأوغلي، مرآة الزمان، نقلاً عن ابي المحاسن، النجوم الزاهرة، ٤ / ١٨٤.

(٣٤) رسالة الرضى والتسليم ١٦.

التناسخَ، وأباحَ لهم شربَ الخمرة، والزنا، وأخْذَ مالِ مَن خالفهم في عقائدهم، وإباحةَ دمِه. وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أنِ انتهى»[٣٥]. ولكنّ الذين حملوا اسم الدَّرَزي، وإنْ لم يسيروا وراءَه بسبب تعاليمِه، ولكنّهم انتسَبوا إليه بأخذِ اسمهم من اسمه. فاسم الدروز، إذاً، هو من الدَّرَزي، ولكنّ تعاليمهم من حمزة.

ورغم أنّ الدروز يُنكرون الدرزي وتعاليمَه، ويتبرّأون منه ويلعنونه، فلقد سُمّوا «عجولاً» أو «عبّاد العجل» و أتباع العجل» بسبب انتسابهم إلى الدرزي الذي أطلق عليه حمزة لقب العجل. من أجل ذلك يتنكّرون لهذه التسمية، ويؤثِرون اسم «الموحِّدين» وكنية «بني معروف»[٣٦]، وصفة «أهل الحق»، و «فريق الهدى»، وغير ذلك، مقابل أهل الأديان الأخرى الذين يُحسَبون عندهم مشرِكين وكفرةً وفريقَ ضلال وأهلَ جهلٍ وشركٍ وعدم.

---

(٣٥)عن أبي المحاسن، النجوم الزاهرة، ٤ / ١٨٤.
(٣٦) من المعرفة، لأنّهم عرفوا اللاّهوت ظاهراً مكشوفاً في الناسوت. واحدهم هو «العارف» أي الذي يعرفُ اللَّهَ والحكمةَ والحدودَ التوحيديّة.

رابعًا – العجل والشيصبان :

أصبح من المؤكَّد أنّ «الضدّ» هو «العجل»، وكلٌّ ضدٍّ هو عجل. ويجب ألاّ نفهم أنّ الضدّ، عند الدروز، يكون ضدّ اللّه، كما هو حال عجل بني اسرائيل، بل هو ضدّ العقل، كما في البدء، وضد قائم الزمان حمزة، كما في هذا الدور. ولا يمكن، بحسب الدروز، أن يوجد كائن ضدًّ اللّه، لأنّ اللّه «لا ندّ له ولا نظير ولا شبيه ولا ضدّ». في البدء، إذاً، كان «الضدّ»، وفي دور العليّ الأعلى كان اسم الضدّ «إبليس»؛ وفي دور الباري ظهرَ باسم «حارت بن تَرْمَاح»[٣٧]؛ وفي دور الحاكم أصبح «الدَّرَزي» هو الضدّ.

ولكن لم يبق اسمُ «الضدّ»، في الدِّرزية، وقفاً على هؤلاءالذين عاندوا «العقل» وخاصموه في أدوار الكشف الإثنين والسبعين[٣٨]؛ بل أصبح كلُّ مشاغبٍ معاندٍ كافرٍ

---

(٣٧) رسالة السيرة المستقيمة، رقم ١٢.

(٣٨) يعتقد الدروز بأنّ اللّه كشف عن ذاته وعن حدوده الخمسة، وظهر للعالم في الناسوت اثنين وسبعين مرّة. ولكنّنا نعرف منها عشر

مشركٍ ملحدٍ يُسمّى ضدًا. وبكلمة، كــلُّ مَن ليس توحيديًا يكون ضدًا. و«الأضــداد»، في الدِّرزية، كلمة تحمل مـعانٍ جمّة، وتشير إلى جمـيع أهل الأديان من يهودٍ ومسيحيّين ومـسلمـين؛ ورؤســاء هؤلاء هم «الأضـداد» بالحــصـر والتعيين، وبالتالي هم «عجول» ناقصو العقل والعلْم.

والنّبيّ محمد، صلّى اللّـه عليه وسلّم، ووصيُّه عليّ بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، هما «الضـدّان» البارزان في هذا العـصر. قـال حمـزة في رسـالته إلى النســاء: «فقـد بيّنهما (المولى) لكنّ أنّهما، مـحمّد وعلي، فلا يجوز لكنّ أن تطعن أحـداً منهـما. وقـد نهى الدِّين عنهـمـا. ألمْ ترَوا أنّ المولى جلَّ وعزّ قد مـلّكهما الدنيا! أليس أشـار لـكنّ بأنّهما دنيّان القَدْر، لأنّ الـدنيا سُمِّيتْ دنيا لأنّهـا دنيّة! وأنّ هذين الشـخصَين يتزَيَّا بزِيِّ المولى عزّ وجلّ، وقد حصَلا ضدَّين! فكيف تجوز عبادتُهما في وقتنا هذا؟»[٣٩].

ظهوراتٍ فـقط. وكلّما ظهر، كـان يظهر معه «الضـدّ» و «الأساس» كظهور سائر الحدود، ولكن بأسماء مختلفة. أنظر كتاب «بين العقل والنبي»، فصل «التجلي الألهي».

(٣٩) رسالة النساء الكبيرة، رقم ١٨.

ثمّ إنّ «الضـدّ» هو إبليس، و«إنّ البـاري سـبحـانه سمّى الضـدَّ إبليس لأنّه بلا أب ولا أمّ»[٤٠]، وهو كالـضدّ الذي خـرج بدون إرادة العـقل[٤١]. وإبليس هو مِن «أب ليس»، أي: «مَن لَيس له أب»، أي: إبن زنا. يَعني أنّـه خرج بدون إرادة أبٍ والد[٤٢]، وهكذا هو النّـبيّ مـحـمّـد فـهـو الإبليس الأعظم [٤٣]، وهو الشـيطان، «والـشـيطان... هو صـاحب ناموس شـريعة الإسـلام»[٤٤]، وهو «مَـسـعـور مَـفتـون»[٤٥]، و«مـسـرف كـذّاب»[٤٦]، و«ابن زنا. والزِّنا بالنسـاء دليلُ شريعته... ومتّبعوه أولاد زنا حتمًا»[٤٧].

---

(٤٠) رسالة السيرة المستقيمة، رقم ١٢.

(٤١) انظر رسالة كشف الحقائق، رقم ١٣.

(٤٢) رَ: رسالة تفـسير كـشف الحقائق، رقم ١٣، وتفـسيرها للأمـير السيّد، ص٥٦٠.

(٤٣) انظر الرسائل التالية : ٧١ و٦٠ و٥٦ و٦٣ و٥٧.

(٤٤) رسالة القسطنطينية، رقم ٥٣.

(٤٥) رسالة التبيين والاستدراك، رقم ٧١.

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) تفسير كشف الحقائق للأمير السيّد، ص ٥١١.

فالنَّبيّ محمّد هو، إذاً، «الضدّ» و«إبليس»، وهو أيضاً، بالحصر والتعيين، «العجل» الذي استعجل في أمره وخرج من معصيةِ العقل، أي خرج، بشريعته التكليفيّة، عن دين التَّوحيد، الذي هو دينُ العالمِ مِنْ قبل مجيءِ الأنبياء والنّواميس. وهو أيضاً «العجل الأكبر» لأنّه اضطهد الموحِّدين بالسيف والعنف[٤٨].

وعلي بن أبي طالب هو «الشيطان»، «والشيطان غير إبليس، وهو كان مأذوناً مِن قِبَلِ إبليس، ونافق معه»[٤٩]. وهو «الشَّيْصَبَان»، و«الجاموس»، و«الغطريس».

والشَّيصَبان، لغةً من الشصب، ويعني الشدّة والجدب. وهو أيضاً الشيطان الرّجيم الذي يعمل في السرّ بدهاء ومكر. وهو أخيراً ذَكَرُ النمل، لا كاليعسوب، ذَكَرِ النّحل، الذي هو حمزة، والذي هو، عند النُّصَيريِّين عليّ

---

(٤٨) رسالة السيرة المستقيمة، رقم ١٢.

(٤٩) المرجع نفسه.

«أميـر النحل»[٥٠]. وعملُ ذَكَـرِ النمل خفـيٌّ خبيثٌ، كـعليٍّ صاحبِ الشِّرك الذي هو أخطر من الكفر والإلحاد وأخبث، «لأنَّ الشِّـركَ أخفَى مِـن دبيبِ النملةِ السـوداء على المسحِ الأسود في الليلة الظلماء»[٥١].

والآن، لا بدّ من نقل نصوص «الحكمة» بحرفـيّتها، لنتأكّدممّا نقول:

يحثُّ حمزة، في رسالة الغاية والنصيحة، الموحّدين على ألاّ يفـزعـوا من عـمل الأضـداد، وألاّ يكفـروا باللّه باتّبـاعـهم الناطـق والأسـاس[٥٢] اللّذين هـمـا العـجل

---

(٥٠) يُلَقّب عليّ عند النصيريّين بأمير النحل، على أنّ المؤمنين هم النحل لأنّ أكلَهم طِيب وجناهم طِيب. أنظر رسالة البيـان لأهل العقـول والأفهـام رقم ١٤٥٠ من المكتـبة الوطنيـة بباريس ورقـة ٥٤ ب، وكتاب المناظرة، الرقم نفسه، ورقة ١١٨ ب، وكتاب الأسوس، رقم ١٤٤٩، ورقة ٤٢ ب. رَ: كتاب «العلويون النصيريون»، ط ١٩٨٤.

(٥١) رسالة النساء الكبيرة، رقم ١٨.

(٥٢) ألناطق والأساس هما محمد وعلي. وكلُّ نبيٍّ نطق بشريعة يسمّى في الدرزية ناطقاً. والأسـاس هو وصـيّ الناطق. وكـان لكلِّ ناطقٍ أساس أو وصـيّ. وشريعة الوصـيّ أخطر على الموحِّدين من شريعة النبي، لأنّها تشابه في باطنيتها التوحيد.

والشيطان. قال: «وَإنْ كان قد فزعتم وهَالَكم أمرُ الأضداد، وعلُوُّ شأنهم بما فعلوه بالمؤمنين، وحسبتم بأنّ مولانا جلّ ذكره وعزّ اسمه، عجز عنهم، ولم يقدر عليهم، فقد كفرتم بنعمته سبحانه، وجحدتم لاهوتَه وعظيمَ شأنه، أشركتم فرعون وهامان، و**عجل وشيطان**، فنعوذ بمولانا»[٥٣].

في البدء، أي في دور الباري وقائم الزمان شَطْنِيل، لم يكن ناموسٌ ولا نبيٌّ ولا أساس، ولم يكن كفر ولا شرك، ولا عبادة محمّد ولا عليّ. قال حمزة في رسالة السيرة المستقيمة: «ولم يكن في شريعته (أي في شريعة شطنيل) تكليفُ الناموس، ولا عبادة **العجل والجاموس**، ولا رباط العابوس، ولا شرك الكابوس»[٥٤]. ولكن، عندما جاءت الأنبياء والنواميس، فسد كلُّ شيء، ولم يبقَ في الدِّينِ فائدة. وعندما كان دورُ محمّد وعليّ هلك كلُّ شيء. ومَن تمسّك بناموسهما أهلك نفسَه.

---

(٥٣) رسالة الغاية والنصيحة، رقم ١٠.

(٥٤) رسالة السيرة المستقيمة ١٢؛ العجل والجاموس كما العابوس والكابوس، هما محمد وعلي.

وقال في السيرة المستقيمة أيضاً: «مَن وقف عند الناموس، وما شرّعاه **العجل والجاموس**، لم يحصل له من الدِّين غير الكناسة، ولم ينفعْه ناطقُه ولا أساسه، وأهلك روحه ونفسَه وحواسه»[٥٥].

والمسلمون الذين يتبعون محمّداً وعليًّا، لا يستطيعون إلاّ الخلود إلى الأعمال الخبيثة. قال بهاء الدين المقتنى في تقليده لبني الجرّاح: «قد أخلدتْهم الأفعالُ الخبيثة لعبادة **العجل والجاموس**»[٥٦]. وفي رسالته الى أهل وادي التَّيم دعوة الى أن يتميّز أهلُ الوادي عن عَبَدةِ العجل محمّد لتصح عبادتُهم للحاكم. قال: «وتجدّد لها (أي لنفوس المسلمين الجحدة الكفّار) في هذا الأوان مِن البلسَ والمروق، تمييزاً لعبدة **العجل** الناكثين، وتصحيحاً لأنساب الموحِّدين الطاهرين»[٥٧].

ثمّ يعترف بهاء الدين بأنّ مهمّة حمزة تقوم على

---

(٥٥) المرجع نفسه.

(٥٦) تقليد بني الجرّاح، رقم ٤٩.

(٥٧) رسالة الوادي، رقم ٥٢، فيما يدعو الموحدين أن يصححوا أنسابهم بعدم زواجهم من المسلمات.

هلاك محمد وعلي. فحمزة. بنظره، هو «مسيحُ الأزمان، محلِّلُ معاقِدَ الملل، وناسخُ الأديان، وقاتلُ **الإبليس** (محمد) **والشيطان** (علي)، ومهلكُ **العجل والشّيصبان**، المنتقمُ من أهل الكفر والطغيان، وماحقٌ لأهل الخلاف والعصيان»[٥٨].

وأملُ بهاء الدين، في اليوم الأخير، ذاك «اليوم المهول، إذا انقضتْ مدّة **العجل والشيصبان**»[٥٩]، أن يكون من الفائزين بنصر مولاه الحاكم جلّ جلاله وعزّ اسمه. وبالمعنى نفسه، يعتبر بهاء الدِّين أنّ حمزة هو «القائمُ لهدم ما بناه هامان، وذبحِ إبليس، والماحقِ لخُوار **العجل والغطريس**»[٦٠].

وأخيراً يصلّي بهاء الدِّين إلى باريه قائلاً: «ألَلَّهمَّ! إنّ قرن الشيطان قد طغى فأذِلَّه، وعددَ أهلِ الارتداد والنكث قد كثر فأقِلَّه... فقاتَلونا بأسلحتِنا من حيث أمَّنَّا

---

(٥٨) رسالة التعقّب والافتقاد، رقم ٥٥.

(٥٩) المرجع نفسه.

(٦٠) الحقائق والإنذار والتأديب لجميع الخلائق، رقم ٥٧.

على النفـوس، ورجِـعوا إلى مـا ألِفُـوه مِن عبـادة **العجل والجاموس**»[٦١].

وما على حمزة، في آخـر الأزمان، إلاّ أن يثأرَ لدماء الموحِّدين الذين قُتلوا ظُلمًا في أوائل الدَّعوة. وثأره الأعظم سيكون من مـحمّد وعليٍّ وأتباعِـهما. فهـو، إذاً «آخذٌ بثأرِ أهل التَّوحيد من **الشّيصبان والعجل**»[٦٢].

في اليوم الأخير، سـوف «ينهض يعسوبُ المؤمنين (حمزة)، ويتعالى ضـياؤه في الآفاق لكشفِ معلوم الدِّين (أي كشف الحكمـة التَّوحيديّة)، وتحلّ أولياؤه، بـعد ظلمة الدجـاجلة (المـسلمين)، بالحَـرَم الأمين (بمكـة)، ويحلّ العقابُ والخـزيُ بأهل التبديل والبِدع، المتـوجِّهين بالزُّور والبهتان إلى عبادة **العجل** ولأتباعه بالتبع»[٦٣]. «فحينئذٍ انتظروا صَيحة الفناء، يا كَـدَرَ الأمم، ويا بقيةَ عبدةِ **العجل والصنم**»[٦٤].

---

(٦١) المرجع نفسه.
(٦٢) رسالة التقريع والبيان، رقم ٦٢.
(٦٣) المرجع نفسه.
(٦٤) المرجع نفسه، أنظر أيضاً: توبيخ ابن البربرية، رقم ٧٦.

وما زال المسلمون «يشكّون في ما عيّنه الباري جل وعزّ (أي في تعيين حمزة في مقام العقل الكليّ)، ورجَعوا إلى الجاهليّة الأولى، إصغاءً إلى زخرف النّغل الشيطان ابن البربريّة (الذي ادّعى منزلة العقل الكليّ)، ورجوعاً إلى ما أَلِفوه من عبادة **العجل** بالنكْثِ والبهتان»[٦٥].

خلاصة الكلام، إنّ النبيَّ محمّداً، صلّى اللّه عليه وسلّم، هو، بنظر رسائل الحكمة المقدسة، «العجل» و «الضدّ» و «إبليس» اللعين. وعليًا بن أبي طالب، رضي اللّه عنه، هو «الجاموس» و «الشيطان» و «الشيصبان».

---

(٦٥) توبيخ ابن البربريّة، رقم ٧٦. يجب أنْ نشير إلى أنّ كلمة «عجل» تُطلق في الرسائل، بعض المرّات، على ابن البربرية، أنظر: ٦٦ و٧٦ و٨٤. وأطلقت مرّة على النبي موسى في معرض تشبيه ابن البربريّة به. قال: «شبيه عجل بني إسرائيل في السلف» (مكاتبة أبي المعالي، رقم ١١٠). ويعلّق صاحب قاموس «الدرر المضيّة» قائلاً: «العجل موسى، والشبيه ابن البربريّة. شبّه أكاذيب ابن البربريّة بأكاذيب موسى التي كان يزعم أنّه يسمعها من الشجرة» (ص.٥١٦-٥١٧)، وهو يشير إلى رسالتَي ١٣ و١٤. وليس ما يشير في الحكمة على أنّ عيسى لُقّب بالعجل، مع أن جميع النطقاء وأتباعهم هم أضداد وعجول.

ألجاموس أكبر من العجل طبعاً، وأعظم خطراً، ولكنَّ الشيصبان، ذَكَرَ النمل، يُعرف بمكره وخبثِه ودهائه. والشيصبان، الذي هو الشيطان، ولكنّه أكثر خبثاً منه، وأعظم دهاء...

ويطيب لـ «رسائل الحكمة» الدرزيّة أن تستعمل هذه التعابير القاسية والألفاظ الفظّة، نظرا لما عاناه الدروز من السنّة والشيعة الذين هم «أذيّةٌ لأهل التَّوحيد»(٦٦)، والذين لم «يرحموا صغيراً... ولم يَعفوا عن كبير... بل أَجْرَوهم على حدِّ السيوف قتلاً وصلبا، وفي الشوارع شقًّا لبطونهم وجرًّا بأرجلهم وسحبا، ولأموالِهم وذراريهم سبيًا ونهبا»(٦٧).

---

(٦٦) الكتاب المعروف بالنقض الخفي، رقم ١٦.

(٦٧) رسالة إيضاح التوحيد، رقم ٧٤. أنظرها بكاملها حيث يصف بهاء الدِّين ما صنعه المسلمون بالدروز من ذبْح وتقطيع وسبي وحريق وغريق و«تعليق رؤوس الرجال الموحِّدين في أعناق أخواتهم وبناتهم، وذبح الأطفال الرّضع في حجور أمّهاتهم»... حتى أصبحت الدعوة صعبةً مستحيلة. فاضطَّر بهاء الدين إلى إقفالها سنة ٤٣٥ هـ. ولم يعد أحد ، حتى اليوم، يستطيع الدخول فيها والانتساب إليها. أنظر رسالة كتاب على يد سرايا، رقم ٩٢؛ وأيضاً

خامسًا – عبادة العجل بين الحقيقة والوهم :

بالرّغم ممّا اتّضح لدينا من مقصود رسائل الحكمة وشروحاتها في العجل والشّيصبان، يبقى الناس متأرجحين في رأيهم: فمنهم مَن يؤكّد عبادةَ الدروز للعجل، ومنهم مَن ينفي عنهم هذه العبادة نفيًا جازماً. ولكلٍّ حججه. أمّا الدروزُ أنفسُهم، نظراً لتكتّمهم وسرّيّتِهم، فلا يجزمون، لا نفياً ولا إثباتًا. إنّهم يؤثرون، في هذه الحال، المسايرةَ والتستّر، «ويفضّلون الوقوف على الحياد مَا أمكن. وإنْ لم يستطيعوا ذلك كانوا يميلون، بشكلٍ عام، إلى جانب الفئة التي يرَون أنّها ستَرجح كفّتُها في الصراع»[68]، أو أيضاً إلى الرأي الذي يُشاع عنهم، ولو كرهًا منهم.

هذا مبدأ درزي عام، وحكمةٌ ملازمة شاملة يطبّقونها في مختلف الميادين: إنّهم مع المسلمين مسلمون، ومع المسيحيّين مسيحيّون، ومع اليهود يهود. في

رسالة ٩١.

(٦٨) تاريخ الموحِّدين الدروز السياسي، المذكور آنفاً، ص ٣١.

حكمتـــهم: «أيّة أمّة تغلّبتْ علـيكم اتبعوها واحـفظوني في قلوبِكم»[٦٩]. وفي جواب العاقل علـى سؤال الجاهل منهم قوله: «يجبُ علينا أن نَحسِنَ لكلِّ ملّـةٍ اعتقادَهم»[٧٠]. والملّة الغالبة في الشرق، حتى الآن هي الإسلام. لذلك قال العالِم للجـاهِـل: «إعلمْ أنّه، من حـيث يـلزمنا الاسـتـتـارُ بدينِ الإسلام، يجب علينا الإقـرارُ بكتاب محـمّد. وحُلِّل لنا ذلك الإنكار»[٧١]. وفي إسرائيل، ترى الدروز يُقيمون الفرائضَ اليهوديّة، ويماشون سياسة اليهود، ويعملون لأجل إعلاء شـأن اسـرئيل. وفي مـدينة «أدِلايد» الاسـتـراليّـة، ترى الدروز مسـيحيّين غـيورين، يعمّـدون أولادَهم، ويعلّقون على صـدورهم الصلبـان، ويلازمـون حضـور القـدّاس الأسبوعي، وغير ذلك.

إنطلاقاً من مـبدأ «المسايرة» هذا –وهو مبـدأ عزيزٌ عندهم له أبعاده في الدرزية[٧٢]– تسألُ الدِّرزيَّ: هل أنتَ

(٦٩) سؤال ١١٤ من تعليم الدين الدرزي.

(٧٠) سؤال ٢٩ من المرجع السابق.

(٧١) سؤال ٣٠ من المرجع نفسه.

(٧٢) أنظر تفسير كشف الحقائق، ص ٧٥٦، وتعليم الدين الدرزي، س

حقًّا تعبد العجل؟ يجيبك حالاً: بل أنا أقيم على صلاة النبي محمّد والتزمُ عباداتِ الإسلام وفرائضَه. كلامُه هذا يعني أنّ النبيَّ نفسَه هو ذاك العجل الذي يَعبُده. وتفسير ذلك أنّ الدِّرزي يستتر فعلاً بدين محمّد، ويُقرّ بكتابه، ويصلّي صلاته. فعبادته للعجل، إذاً، هي، بهذا المقصود، حقيقة. ووجود «رأس عجل مذهّب» في بعض الخلوات والمقامات يؤكّد ذلك. ويجب أن نفهم مِن ورائه ما يلي:

كما أنّ الدروز يُخفُون ديانتَهم التَّوحيديّة في شريعة الإسلام التكليفيّة[٧٣]، وهم ينكرون الإسلام ويلعنونه بلا هوادة، كذلك هم يُخفون، في خلواتهم، رسائلَهم المقدّسة، في «رأس عجل مذهَّب»، يمثّل النبيَّ محمّداً. والذي يدخل عليهم يظنّهم يعبدون رأسَ العجل، فيما هم بالحقيقة يكرّمون رسائلهم المستترة في رأسِ

---

١١٣ و١١٥، وفي الرسائل المسايرة تعني «الاستتار بالمألوف عند أهله»، أنظر رسالة التحذير والتنبيه، رقم ٣٣ النصّ بكامله.

(٧٣) ترد هذه اللفظة مئات المرّات في رسائل الحكمة، والمقصود منها أنّ الدروز يتكلّفون بإقامة شريعة الإسلام ويتحمّلون عبئها لأجل «المسايرة» و «الاستتار بالمألوف عند أهله».

العجل. وينكرون هذا العجل وما يمثّله، ويلعنونه بلا هوادة.

فضلاً عن ذلك، نطالع في بعض المؤلّفات الدرزيّة القديمة ما يلي: في بعض الاحتفالات الدرزيّة اللّيليّة، يقف العقّال ويقدّمون للجهّال عنبًا مُجفّفًا أي زبيبًا موضوعًا في رأس عِجل مجوّف. ويتقدّم الجهّال، وعلى أيديهم المبسوطة مناديل تغطّيها، ويُفرَغُ فيها الزبيب حبّة حبّة. ويقول العاقِل للجاهل: «مدّ منديلك لأعطيكَ الإيمان». ويمدّ الجاهل يدَه، ويُفرغ العاقلُ فيها من رأس العجلِ الزبيبَ المقدّس[٧٤]؛ فتتمّ بذلك عمليّة «تسليم الدين»، وذلك رمزًا إلى دين التّوحيد (الزبيب) المستتر بدين محمّد (رأس العجل). والذين يشاهدون، من خارج، ما يجري، يظنّون أنّ الدروز يقدّسون رأسَ العجل ويعبدونه. وهذا ما وقع في ظنّه عامّة الناس ومعظم المستشرقين.

---

(٧٤) Henri GUYS, La Nation Druze, Son histoire, sa religion, ses mœurs, et son état politique, Paris, 1863, pp. 157-158, note 4.

سادسًا – تفسيرات غير درزّية :

لقد انزلق معظم المستشـرقين في تفسيراتٍ خاطئة حول عبادة العجل. وجاءت أقـوالهم مضطربة ومتناقضة بين ما قرأوا من رسائل الحكمـة من جهة، وما شاهدوا في الخلوات الدرزيّة من جهة ثانية. ولم يسـتطيعوا الجزم في ما بين المقروء والمسموع، أيّهما هو الصحيح.

فهنري غيز Henri Guys مثلاً يعتـرف بأنّ هناك فئةً ضئيلةً من الدروز نُسبت إليـها عبادة العجل(٧٥). ثمّ يعود عن رأيه ليقول بأنّ أحدَ الرحّالة الأجانب عرف من الموارنة الذين هم على صـلاتٍ وثيـقة بالـدروز، أنّ تهمـة الدروز بعبادة العجل لفّقها المسلمون(٧٦).

وسلفسـتر دي ساسي Silvester de Sacy يعتبر أنّ عبـادة العـجل أخَذتْ سـبيلَهـا إلى الدروز عن طريق بني إسـرائيل الذين عـبدوا عجل الذَّهب(٧٧)، وعن طريق العرب

(٧٥) المرجع نفسه.

(٧٦) المرجع نفسه.

(٧٧) Silvester DE SACY, Mémoires de l'institut...III p. 78

الجاهليّين الذين عُرف عن بعضهم عبادة العجل والجاموس[٧٨].

ويعتقد أيضاً مع فانتور Venture أنّ الدروز اعتنَوا عناية فائقة بإخفاء صورة العجل عن رؤية عامّة الناس له بقدر اعتنائهم بسرّيّة كتبهم المقدسة[٧٩]. ولكنّه يعود في كتاب آخر[٨٠] ليقول بأنّ أحد رسلِ بهاء الدِّين المقتنَى المرتدَّ عن الدرزيّة، وهو ابن البربريّة، ذو السيرة العاطلة[٨١]، صنع تمثالاً لعبادته. وانسجامًا مع عقيدته الفاسدة، صنع عجلاً ليغري به الذين اتّبعوه في فساده وضلاله[٨٢].

---

(٧٨) S. De SACY, Manuscrits de la Bibliothèque Impériale, I, p. 881.

(٧٩) S. De SACY, Manuscrits français, 581; III, p. 75.

(٨٠) S. De SACY. Exposé de la Religion des Druzes, Paris, 1838, t. II, p. 354.

(٨١) «قصته أنّ رجلاً اسمُه خَمَّار استرقّه وكان يَلوط به، ويزني بأمّه، وكان يأجُر نفسَه بفعلِ الفاحشة... ادّعى منزلةَ الإمام، ونصبَ له حدود» (الدرر المضيّة، مادّة ابن البربرية).

(٨٢) يعتمد على ما جاء في الرسالة، رقم ٦٦: «واجتمع هو وهم بالخلاف على نحت صنم بأيديهم ليعبدوه، واتّخاذ عجل جسدًا

ثمّ يضطرب رأي دي سَاسي في آخر حياته، فيقول: تارةً لا أثر لعبادة العجل والجاموس في شريعة الدّروز [٨٣]، وطوراً إنّ الدروز يعبدون في خلواتهم صورة العجل المخفي خلف الجدار، ويسمّونه «كنز الجدار»[٨٤]، ويعتبرون صورة العجل رمزًا لناسوت الحاكم[٨٥]. أمّا دي هامّر De Hammer فيؤكّد: «أنّ عبادة العجل وُجدتْ في الأزمان المتأخرة عند الدروز والنُّصيريِّين على السواء»، ويضيف: «أنّ هذا الآمر تؤكّده وثائق كتابيّة وتماثيل وُجدت في أمكنة عباداتهم»[٨٦].

وهناك بعض المؤرخّين، منهم دروز وغير دروز، ينسبون بعض فروع الدروز الى قبيلة عربيّة من بكر

بأهوائهم، له خُوار، ليموِّهوا على مَن قَبِلَ فسقَهم ويضلّوه». أنظر أيضاً رسالة ٧٦، في قوله عن جماعة المرتدِّين «الذين سمعوا خُوار العجل الجسد فعبدوه». وعنه أيضاً يقول: «اتخذ العجلُ (ابن البربرية) لنفسه الأعلاج والفحول» (رسالة رقم ٨٤).

(٨٣) S. DE Sacy, Exposé de la Religion des Druzes, II, p. 128.

(٨٤) S. De Sacy, Exposé..., II, p. 629, note 2.

(٨٥) Ibidem, t. I, pp. 230-231; t. II, p. 703, note 1.

(٨٦) J. De Hammer, Mémoires sur deux Coffrets, p. 12.

وائل، شمـالي الجزيرة العربيـة، تسمّى قبـيلة «عجل بني لُجَيم». من هؤلاء مثلاً حنظلة بن ثعلبـة صاحب القبّة يومَ ذي قـار، وهو من الكوفـة[(٨٧)]. ويقـال، بأنّ هذه القـبيلة، لشـدّة الاضطهاد علـيهـا، نزحتْ من مـواطنها نحـو بلاد الشام، وصادفَ نزوحَهـا التقاؤها مع الموحِّدين النازحين بدورهم من مـصــر إلى بلاد الشــام، فـاعـتنقتِ الدرزيّة، وانضمّتْ إليها... إلاّ أنّه ليس في رســائل الحكمة ما يشير إلى ذلك، لا من قريب ولا من بـعيد. بل إنّ رســائل الحكمة لا تتكلّم على العجل إلاّ بالمعنى الذي رأينا.

بقي علينا ان نورد قـصّةً حـديثة تكشف لنـا سرّاً. فـفي ١٦ كـانون الأوّل سنة ١٩٧٢ تجـرّأ المؤرّخ يوسف ابراهيم يزبك في مـحاضـرة له على القول: إنّ حـمزة بن علي غضب على الدَّرَزي «وطرده من رجال المسلك، ونعتَه بالعجل، أي الناقص العقل، واتّهم أتباعَه بأنّهم عَبَدة عجل.

---

(٨٧) انظر كـتاب الاشـتقـاق لابن دريد، تحقـيق عبـد السلام مـحمـد هـارون، دار المسـيـرة بيـروت ، طبـعـة ٢ سنة ١٩٧٩، ص ٣٢٢، ٣٤٤، ٣٤٥-٣٤٧.

وهنا يجوز الاستنتاج أنّ ما هو شائعٌ بين العامّة شيوعاً خاطئاً عن كون الدروز يعبدون العجل، إنّما يرجع إلى تسمية حمزة لأتباع الدَّرَزي تلك التسمية»،[٨٨].

في هذا الكلام حقيقة بسبب اعتماده على كتب الدروز، وبسبب استناده الى التاريخ. ولكنّه كلام ناقص، لم يتوسّع صاحبه في مقصود الدروز ومفهومهم للعجل الذي هو «الضدّ» و «إبليس» المتمثّلان بالنبي محمّد... ومع ما في الكلام من حقٍّ فإنّه لم يُعجب «مكتبَ مشيخة العقل» الذي ردّ عليه بما يلي :

إنّ «في الحديث عن نشتكين الدرزي ونسبة الدروز، ما يخالف الحقيقة... وقضيّةُ العجل، مثلاً، التي لا يزال بعضهم يذكرها، مع معرفتهم أنّها مختَلَقَة لا أساس لها. كأنّهم يتعمّدون ذلك... وقصّة عبادة العجل، نعرفها نحن، من رواية التوراة لها، كما يعرفها الباقون، ونعرف أنّ بني إسرائيل هم الذين عبدوا العجل فعلاً، صنعَه لهم

(٨٨) تلخيص محاضرة يوسف يزبك للأب أنطوان ضو الأنطوني، في جريدة النهار البيروتيّة ٢١/١٢/١٩٧٢.

هارون أخو موسى من أقراط الذَّهب، التي للنساء. ونعرف تلك الصلاة المثبتة في كتاب الصلوات المسيحيّة، الذي طبعتْه جمعيّةُ السلام والمحبة بنفقتها ووزّعتْه على حسابها: «ألسلامُ عليكِ أيّتها العجلةُ التي وَلَدتْ للمؤمنين العجلَ البريءَ من العيوب. إنَّ التاريخ والدِّين يدلاّن في وضوح على الذين يعبدون العجل ويقدِّسونه. وهم غير الدروز. ومع ذلك لا نسمح لأنفسنا بالقول، ولو تلميحاً، وفي معرض الرواية، للآخرين: «أنتم تعبدون العجل»[٨٩].

من خلال ردّ «مكتب مشيخة العقل» نتبيّن أنّ المكتب يبوح في الواقع بجزءٍ من الحقيقة، ويطمس جزءاً آخر، وبأسلوب مرن يخفي باطنيّةً معهودة: ففي عبادة الدّروز للعجل حقيقةٌ وخطأ. وفي اتّهام المسيحيّة واليهوديّة بعبادة العجل، أيضاً، حقيقة وخطأ. وفي الأسلوب المرن باطن وظاهر. والحقيقة هي أنّ الدروز لا يعبدون العجل؛ والخطأ هو أنّهم يعبدونه على كون العجل هو محمّد؛ وهم يعلنون اتبّاعَهم محمّداً، ويُخفون ما

---

(٨٩) عن جريدة النهار في ٢٤/١٢/١٩٧٢.

يتّهمونه به. ألحقيقة أيضاً في قولهم بأنّ بعضَ اليهود صنعوا لهم عجلاً وعبدوه؛ والخطأ هو أنّه ليس يهوديٌّ ولا مسيحيٌّ –ولا مسلمٌ أيضاً– عبدوا العجل.

أمّا المرونة في الأسلوب فهي أن تقول مشيخة العقل: «قصّة عبادة العجل نعرفها نحن». طبعاً إنّ الدروز يعرفون، ولكنّهم لم يذكروا في ردّهم ما يعرفون. والمرونة أيضاً في كلامهم الشامل المبهم: «إنّ التاريخ والدِّين يدلاّن في وضوح على الذين يعبدون العجل ويقدّسونه، وهم غير الدروز». فبذلك هم يشهدون، على ما في دينهم، على حقيقة عبادة العجل، وعلى الذين يعبدون العجل، ولكن من دون أن يسمحوا لأنفسهم، «ولو تلميحًا»، بتسمية من يَعبدون العجل. ويعمّمون الكلام على «الآخرين»، من دون أن يكون له أيّة علاقة لهؤلاء «الآخرين» باليهوديّة والمسيحيّة المذكورتَين. ثمّ يقولون لهؤلاء «الآخرين»: «أنتم تعبدون العجل». فمن هم هؤلاء «الآخرون»؟ ومَن هو هذا «العجل»؟ هذا ما لا يأتون على ذكره. ولكنّهم ببساطة يقولون: نحن «في معرض الرواية».

ليس من شأننا الدخول مع الدروز ومع مشيخة العقل في جدلٍ أو حوارٍ حول هذا الموضوع. فالجدل والحوار في الدِّين الدرزي ومعتقداته لا محلَّ لهما؛ بل يرفض الدُّروز أصلاً كلَّ دخول في أمورهم الدِّينيّة السرّيّة، ويمنعونه. فمشيخة العقل نفسُها، وفي الردّ نفسِه تضع لأبحاثنا حدًّا بقولها: «ولا يسعنا إلاّ أن نطلب من الكتّاب والمنشئين والتاريخيِّين المحقِّقين، ألاّ يكتبوا شيئاً عن المعتقد الدرزي... ودعوةُ الدُّروز إلى نشر كتبهم أمرٌ يتعلّق بهم دون سواهم». ولكنّ أيادي العلم طويلة، لا تمنع من اقتناص موادّها ولو هي تحت الأرض أو في كهوف الظلام.

خاتمة :

مرّة أخرى، نحن، مع الدرزيّة، في رموز وأسرار؛ ومع الدروز نتلمّس الحقيقة عبر التقيّة والكتمان والمساترة والمسايرة والحذر. لا الدروز يكتبون عن عقيدتهم شيئاً، ولا يتركون سواهم يكتب عنهم أيَّ شيء. ولو لم نحظ بكتب الحكمة وتفاسيرها والقواميس النادرة

لألفاظها، لما تجرّأنا على الخوض في مبهمات الدِّين، ولما تمكّنا من معالجة موضوع خطيرٍ مثل موضوع «عبادة العجل».

هذه الجرأة لم نلتزمها إلاّ ابتغاء تصحيح خطأ عام، شامل عند معظم الناس، وحتى عند الدروز أنفسهم. ولو لم يتعمّد الدروز زجَّنَا في الخطأ لما خطر في بالنا لزومُ ما لا يلزم. ومع هذا لنا أمل بأن نكونَ سَعينا من أجل المعرفة وفي سبيل الحقيقة. ورجاؤنا أن يُقبَل عملُنا هذا بتسامح ورحابة صدر، وأن يؤدّي إلى فائدة الدروز أنفسهم، فنعمل معهم من أجل المعرفة والحقيقة.

قصدنا من وراء ذلك أن يَعْمَدَ الدروز، بعد ألف سنة من «وجود» الحاكم و«ظهور» حمزة بن علي قائمِ الزمان، إلى أن «يُعيدوا النظر في موقفهم من كتبهم، فينشروا منها ما يجوز نشره، ويعرّفوا الناس إلى ما تجب معرفته من هذا الدِّين»[٩٠].

هذه الرغبة إيّاها تكلّم عليها المرحوم كمال

---

(٩٠) المرجع نفسه.

جنبلاط[٩١]، وهي التي دفعت عبد اللّه النجّار إلى كتابةِ ما كتب حول المذهب الدرزي[٩٢]، وبسببها استُشهِد مغدوراً به. وهناك اليوم أصواتٌ درزيّة صادقة ترتفع، مِن وقت إلى آخر، تطالب بكشف ما يجب كشفه، وتمزيق ما يجب تمزيقه من مخلّفات قهرهم ومحنتهم على يد المسلمين.

ولعلّ ما بدأ به الدروز اليوم من إنشاء مجلسٍ للدراسات والبحوث[٩٣]، ومن بناء المدارس الدينيّة، ومن نشرِ تعليم الدِّين الدِّرزيِّ تحت عنوان «التربيّة التَّوحيدية»[٩٤]، ومن الجرأة على إذاعة مواقفهم عَبر الأثير من «إذاعة صوت الجبل»، ومن مسايرتهم الذكيّة لسياساتٍ متناقضة، ومن عزمهم على تأسيس «معهد للعلوم الدرزيّة» في جامعة حيفا... ينبئ عن حدَثٍ عظيم!

---

(٩١) أنظر مقدمة كتاب أضواء على مسلك التوحيد للدكتور سامي مكارم، دار صادر ١٩٦٦، ص ٩.

(٩٢) عبد اللّه النجّار، مذهب الدروز والتوحيد، ط ١ سنة ١٩٦٥.

(٩٣) أصدر حتى الآن دراسات عديدة، إلاّ أنّ هذه الدراسات لم تكشف الحقيقة

(٩٤) صدر عن المجلس الدرزي للبحوث والإنماء جزءان، سنة ١٩٨٠.

"la Voix de la Montagne", qui ont su *harmoniser* intelligemment avec des politi-ques contradictoires, en s'appuyant sur des amis à eux, alors qu'on les croirait appa-remment des ennemis, tels que les Israéliens et les Alaouites; qui ont mené une bataille décisive à la suite de laquelle ils sont devenus autonomes dans la Montagne, restaurant ainsi l'historique *Emirat druze* et qui ont décidé de fonder *"Faculté des Etudes Druzes"* dans le cadre de l'Université juive à Haïfa... Il se peut que tout cela annonce des événements imminents et graves.

Quoi qu'il en soit, il est de leur droit et du nôtre de connaître. Il se peut aussi que notre connaissance à tous deux, devienne plus claire grâce à cet effort de recherche de la Vérité que nous menons ensemble. Et qui sait si les portes du druzisme, fermées depuis si longtemps, ne s'ouvriront pas un jour? Il nous manquera alors ce que nous devons savoir et nous ne saurons pas quelle conduite tenir; pris au dépourvu, nous serons surpris par ce que préparent les gens de la Sagesse et de la Connaissance. Ne sont-ils pas passés maîtres dans les surprises, à travers l'histoire?

Ce même souhait, feu *Kamal Joumblatt* l'avait formulé bien avant nous[91]; et c'est ce même désir qui a poussé *Abdallah Najjâr* à écrire ce qu'il a fait sur la religion druze[92] et il a été assassiné à cause de cette audace qu'il a eue.

De nos jours encore, il s'élève de temps en temps, des voix druzes sincères pour demander qu'on dévoile ce qui est permis de mettre au grand jour et qu'on déchire ce qui mérite de l'être, notamment tout ce qui rappelle les temps où les Druzes étaient sujets aux véxations et aux tyrannies de la part des Musulmans.

Il se peut que les Druzes d'aujourd'hui qui ont déjà fondé un *"Bureau d'Etudes et de Recherches"*[93], ouvert des *"Ecoles confes-sionnelles"* pour diffuser l'enseignement de la religion druze, sous le nom de *"l'Education unitaire"*[94], qui ont eu le courage d'exposer leurs opinions à travers leur station de radio

---

(91) Cf. Dr. Sami Makârem, *Lumières sur la religion Unitaire,* éd. Dar Sâder, Beyrouth, 1966, p. 9.

(92) A. Najjâr, *Religion des Druzes Unitaires,* 1ère éd. 1965, 2de éd. 1967.

(93) Il a déjà édité plusieurs études. Toutefois, ces études ne dévoilent pas encore la vérité.

(94) Edité par le "Bureau druze pour les Recherches et le Développement", en 2 volumes, 1980.

qui jettent une faible lumière sur leur vocabulaire inhabituel, nous n'aurions pas osé nous aventurer dans les abstractions de cette religion et nous n'aurions pas été capables de traiter un sujet aussi important que celui du *Culte rendu au Veau.*

Cette audace, nous ne l'avons eue que dans notre grand désir de rectifier une erreur générale où tombent la plupart des gens et les Druzes eux-mêmes, qui, s'ils n'avaient pas fait comme exprès de nous induire en erreur, nous n'aurions pas eu l'idée de faire ce travail ni d'entreprendre cette recherche. Quoi qu'il en soit, nous avons l'espoir de n'avoir pas cherché en vain à connaître la Vérité. Aussi espérons-nous que ce travail sera accepté volonntiers et avec indulgence, et qu'il suscitera l'intérêt des Druzes eux-mêmes; alors, nous travaillerons ensemble pour la connaissance et la recherche de la Vérité.

Notre but est en effet, qu'après mille ans de *la Manifestation d'Al-Hakem* et de *l'Apparition de Hamza ben Ali,* les Druzes se décident enfin à *"revoir leur attitude vis-à-vis de leurs livres; ils en plublieront ce qui est permis d'être publié et feront connaître aux gens ce qu'il faut qu'ils sachent de cette religion"*[(90)].

---

(90) Quotidien *An-Nahar,* Beyrouth, le 24/12/1972.

choses qui ne se font pas dans la religion et la doctrine des Druzes qui, par principe, refusent toute ingérence dans leurs affaires religieuses qu'ils tiennent très secrètes. Aussi, le *Chéikh* lui-même, et précisément dans cette même réponse, met-il fin à nos recherches en disant: *"Nous ne pouvons que demander aux écrivains, aux compositeurs et aux historiens-chercheurs de ne rien écrire sur la croyance druze... Appeler les Druzes à publier leurs livres est une affaire interne qui les regarde exclusivement eux-mêmes"*. Toutefois, le bras de la science est long et on ne saurait lui interdire de chasser son gibier là où il se trouve, même s'il est profondément enfoui sous terre ou enfermé dans les ténèbres des plus noires cavernes.

Conclusion

Encore une fois, avec le druzisme, nous sommes en plein dans les symboles et les mystères. Et avec les Druzes, nous cherchons la vérité à tâtons, à travers *la taqiyya (la dissimulation),* le mutisme, le voilement, la complaisance et l'appréhension. Car les Druzes n'écrivent rien sur leur croyance et ils ne permettent pas aux autres de le faire. Et si nous n'avions pas eu la chance de posséder désormais les Livres de la Sagesse avec leurs Commentaires et les rares lexiques

Veau, c'est Muhammad. La vérité est qu'ils ont prétendu que les Chrétiens et les Juifs rendent un culte au *Veau*; et l'erreur, c'est qu'ils ont oublié d'inclure les Musulmans avec eux.

Quant à la fluidité dans le style, elle se trouve dans la façon dont s'exprime le *Chéikh el-Aql* lorsqu'il dit: *"le récit du Veau, nous le reconnaissons".* Naturellement les Druzes connaissent ce récit, mais ils n'ont pas dit ce qu'ils en savent.

Cette flexibilité du style est encore dans cette expression à sens général et abstrait: *"L'histoire et la religion indiquent clairement quels sont ceux qui adorent le Veau".* Par ces paroles, *Chéikh el-Aql* témoigne, sans le vouloir peut-être, de ce qu'il en est, dans sa religion, du culte rendu au *Veau* et de ceux qui adorent le *Veau*, mais sans se permettre, selon ses propres termes, de nommer *"même allusivement"* ceux qui adorent le *Veau*. Aussi généralise-t-il en disant: *"les autres",* sans que ces *"autres"* aient aucune relation avec lesdits judaïsme et christianisme. Ensuite, il ne dira pas aux *"autres": "Vous adorez le Veau".* Quel sont ces *"autres"?* Qui est ce *Veau?* Voilà ce qu'il ne dit pas.

Il ne nous appartient pas d'engager une polémique avec les Druzes et leur *Chéikh el-Aql,* ni d'entamer une discussion avec eux. Ce sont là des

le livre de prière chrétienne, édité par la Société 'Paix et Charité' à ses propres frais et distribué gratuitement: 'Salut, O Génisse qui a enfanté pour les croyants le Veau, exempt de tout défaut'.

L'histoire et la religion indiquent clai-rement quels sont ceux qui adorent le Veau et qui le tiennent pour sacré, et ils ne sont pas druzes... Malgré cela, nous ne nous permettons pas de dire aux autres, pas même allusivement et comme en passant: 'Vous adorez le Veau'[89].

De cette réponse se dégagent plusieurs vérités; c'est qu'en réalité, cette réponse avoue une partie de la vérité et elle en cache une autre: dans un style fluide elle cache, sous ses expressions, ce que les Druzes veulent dire dans le fond de leur pensée. C'est cela qui a porté le *Chéikh el-Aql* à se départir de son sérieux habituel. Dans le fait que les Druzes adorent le *Veau*, il y a (à la fois) une vérité et une erreur. Et dans l'accusation portée contre les Chrétiens et les Juifs qu'ils adorent le *Veau*, il y a aussi une vérité et une erreur. Et dans ce style fluide et subtile, il y a une réalité et une apparence.

La vérité est que les Druzes n'adorent pas le *Veau*; et l'erreur consiste à l'adorer en tant que le

---

(89) Quotidien *An-Nahar*, Beyrouth, le 24/12/1972.

a donné ce nom aux adeptes de Darazi"[88].

Ces paroles contiennent une vérité car elles se basent sur les *Epîtres de la Sagesse,* et se réfèrent à l'histoire. Cependant, elles sont incomplètement développées, et celui qui les cite ne dit rien du sens de ces paroles ni de la signification que donnent les Druzes au *Veau* et à *Ibliss* représentés par Muhammad...

Malgré ce que ces paroles contiennent de vérité, elles n'ont pas plu au Chef religieux suprême des Druzes, lequel a diffusé la réponse suivante: *"Dans les paroles sur Nachtakyne Darazi et l'appellation druze, il ya des affirmations contraires à la vérité... La question du Veau, par exemple, que certains ne cessent de rappeler bien qu'ils savent que c'est une pure fiction et sans aucun fondement, on dirait qu'ils le font exprès... Le récit du culte rendu au Veau, nous le connaissons d'après le texte de la Bible, comme les autres le connaissent... Nous savons que les fils d'Israël, ce sont eux qui ont adoré effec-tivement le Veau d'Aaron, frère de Moïse, leur avait fait avec les broches en or qui appartenaient aux femmes.*

Et nous connaissons aussi la prière inscrite dans

---

(88) P.A.Daou, o.a., *Compte-rendu de la Conférence de Y.Yazbek,* in *An-Nahar,* Beyrouth, 21/12/1972.

bani Loujaïm". L'un des membres de cette tribu est *"Hannzalat ben Tha'labat"* devenu fameux à la bataille de *Zi-Qâr;* il était de Koufa[87].

On raconte que cette tribu a été tellement persécutée qu'elle avait émigré, de son pays, en Syrie. Et par coïncidence, à son arrivée, elle a rencontré des Unitaires qui, à leur tour, émigraient d'Egypte en Syrie. Alors, elle a embrassé le druzisme et s'est jointe à ces druzes... Cependant, rien dans les *Epîtres de la Sagesse* ne fait allusion à cela. Toutefois, les *Epîtres de la Sagesse* ne parlent du *Veau* que dans le sens que nous avons vu.

Il nous reste à raconter un fait récent qui nous révèlera un secret:

Le 16 décembre 1972, l'historien (libanais) *Yossef Ibrahim Yazbek* a osé dire dans l'une de ses conférences publiques: *"Hamza ben Ali s'était mis en colère contre Darazi; il l'avait chassé de la religion druze et qualifié de Veau, c'est-à-dire de crétin, et il a accusé ses adeptes d'adorer le Veau. Il est permis de conclure ici qu'il s'est faussement répandu parmi le commun des gens que les Druzes adorent le Veau; alors que cette présomption provient de ce que Hamza*

---

(86) J. De Hammer, *Mémoires sur deux Coffrets,* p. 12.

(87) Cf. Ibn Douraïd, *Kitab et-Ichtiqâq,* réalisé par Abd es-Salâm Muh.

Ensuite vers la fin de sa vie, De Sacy hésite dans son opinion: tantôt, il dit que, dans la doctrine druze, il n'y a aucune trace d'un culte à rendre au *Veau* ou au Buffle(83); et tantôt, il dit que, dans leurs lieux de prière, les Druzes adorent l'image du *Veau* cachée derrière le mur; ils l'appellent: *"le trésor du mur"*(84); et ils considèrent cette image du *Veau* comme le symbole de l'humanité d'Al-Hakem(85).

Quant à *De Hammer*, il affirme catégoriquement: *"le culte du Veau n'a existé qu'ultérieurement, aussi bien chez les Druzes que chez les Alaouites"*, et il ajoute: *"ce fait est confirmé par des documents et des statues trouvés dans leurs lieux de culte"*(86).

Il existe aussi d'autres historiens druzes et non-druzes qui font remonter certaines branches druzes jusqu'à l'une des tribus arabes de *Bakr-Wâël*, au nord de la presqu'île arabique. Cette tribu s'appelle *"Ijl*

---

suivre dans leur erreur et leur mauvaise conduite". Cf. aussi *Epître* 76/696 où il est dit des rénégats: *"Ceux qui ont entendu le mugissement du Veau et l'ont adoré"*. Et d'Ibn el-Barbariyya, il est dit: *"Il a pris un Veau pour satisfaire sa passion de mâle"*, *Epître* 84/750.

(83) S. de Sacy, *Exposé de la Religion des Druzes,* II, p. 128.

(84) S. de Sacy, *Exposé de la Religion des Druzes,* II, p. 629, note 2.

(85) S. de Sacy, *Exposé de la Religion des Druzes,* I, pp. 230-231, et II, p. 703, note 1.

d'Israël qui avaient adoré le *Veau* d'or[77] et par celui des arabes pré-islamiques dont certains adoraient le *Veau* et le Buffle[78]. Il croit aussi, avec *Venture* que les Druzes ont pris autant de soin extrême à dérober l'image du *Veau* aux regards du commun des gens qu'à tenir secrets leurs livres saints[79].

Mais dans un autre de ses ouvrages[80], il redit que l'un des missionnaires de Al-Moqtana avait abjuré le druzisme. Il s'agit d'Ibn el-Barbariyya, de mauvaise conduite[81]. Il avait fait une statue (à son effigie) pour qu'on l'adore! Et pour être plus logique avec sa fausse doctrine, il a fabriqué un *Veau* afin de séduire ceux qui l'ont suivi dans sa corruption et dans son erreur[82].

---

(77) S. de Sacy, *Mémoires de l'Institut...* III, p. 78.

(78) S. de Sacy, *Ms. de la Biblio. Impériale,* I, p. 881.

(79) S. de Sacy, Ms. français, 581; III, p. 75.

(80) S. de Sacy, *Exposé de la Religion des Druzes,* Paris, 1834, t. II, p. 345.

(81) *"Son histoire est qu'un homme appelé Khammâr l'avait enlevé, le soumettait à ses désirs, commettait l'adultère avec sa mère et il se prêtait -moyennant argent- à la fornication... Il a prétendu être l'Imâm et il s'est constitué des Ministres".* Cf. *Les Perles lumineuses (Al-Dourar el-moudiyyat),* le mot *Ibn el-Barbariyya.*

(82) Par référence à *l'Epître* 66/521: *"Lui et eux se sont réunis pour se mettre d'accord à sculpter une idole de leurs propres mains afin de l'adorer; ils ont pris, selon leurs penchants, la forme d'un Veau mugissant, afin de séduire ceux qui ont accepté de les*

VI. Des explications non-druzes

Le plupart des orientalistes ont glissé dans des explications erronées autour du culte rendu au *Veau.* Leurs affirmations manquent de fermeté, et surtout, elles sont pleines de contradictions entre ce qu'ils ont lu dans les *Epîtres de la Sagesse* d'une part, et ce qu'ils ont vu dans les lieux de prière druze, d'autre part. Et ils n'arrivent pas à trancher, quel est le plus vrai, ce qu'ils ont lu ou ce qu'ils ont vu?

Henri Guys, par exemple, avoue qu'il existe un tout petit groupe de Druzes auxquels on attribue le culte du *Veau*(75). Puis il revient sur son opinion pour dire qu'un voyageur étranger a appris des Maronites qui sont en relation très étroite avec les Druzes, que l'accusation d'adorer le *Veau* qu'on attribue à ces derniers est une pure machination, entièrement fabriquée par les Musulmans(76).

Silvestre de Sacy considère que le culte du *Veau* est parvenu aux Druzes par le truchement des fils

---

(75) Op. cit.

(76) Op. cit.

l'Islam et le maudissent sans cesse; de même, dans leurs lieux de prière, ils cachent leurs *Epîtres de la Sagesse* dans une tête de *Veau* dorée qui représente le prophète Muhammad. Celui qui entre chez eux croit qu'ils rendent un culte au *Veau*, alors qu'en réalité, ils honorent leurs *Epîtres de la Sagesse* cachées dans la tête du *Veau*, car ils nient ce *Veau*; et celui qu'il représente, ils le maudissent sans cesse.

En plus de cela, nous lisons dans certains vieux ouvrages druzes ce qui suit: Dans certaines cérémonies druzes nocturnes les *sages-initiés* se tiennent debout et présentent aux *ignorants* du raisin sec placé dans une tête de *Veau* vidée à l'intérieur. Les *ignorants* s'avancent et tendent leurs mains couvertes de voiles; le raisin sec y sera versé grain par grain. Et le *sage* lui verse le raisin sacré renfermé dans la tête de *Veau*(74).

C'est de cette façon que se fait *"la transmission de la foi";* le raisin sec étant le symbole de la religion Unitaire cachée dans la religion de Muhammad (la tête du *Veau*). Ceux qui, de l'extérieur, assistent à cette cérémonie, croient que les Druzes tiennent pour cachée la tête du *Veau* et qu'ils l'adorent. C'est précisément cela que le commun des gens et la plupart des orientalistes ont pensé et cru.

---

(74) Henri Guys,*La nation druze, son histoire, sa religion, ses moeurs et son état politique,* Paris, 1863, pp. 157-158.

ou d'harmonisation est très cher aux Druzes; il est riche en signification et bien enraciné dans leur histoire[72]. Et, partant de ce principe, si nous demandons à un Druze: Est-ce que vraiment tu adores le *Veau*? Il nous répondra: Je me tiens plutôt à honorer Muhammad et à pratiquer les dévotions et les prescriptions propres à l'Islam. Voulant dire par là que le Prophète lui-même est ce *Veau* qu'il adore... La chose s'explique aisément: le Druze *se cache* effectivement derrière la religion de Muhammad, il en reconnaît le Livre et récite ses prières. Dans ce sens, le culte qu'il rend au *Veau* est donc une réalité. Et la présence *"d'une tête de Veau dorée"*, dans certains lieux de réunion et de prière druzes, confirme cette réalité. Toutefois, il faut comprendre par là ce qui suit:

Comme les Druzes cachent leur religion unitaire à l'intérieur de la doctrine musulmane *satanique et strictement obligatoire*[73], alors, qu'en vérité, ils nient

---

(72) Amir Es-Sayyed, *Commentaire de l'Epître 13*, p. 756; et le *Catéchisme des Druzes,* questions 113 et 115. Le mot *mousayarat* ou complaisance employé dans les *Epîtres*, signifie *"cacher sa véritable opinion en adoptant les idées et la manière de vivre des gens avec lesquels on vit"*. Voir *Epître* 33/244-245.

(73) Ce terme revient des centaines de fois dans les *Epîtres de la Sagesse.* Il signifie que les Druzes s'obligent à observer la législation musulmane et à en supporter tout le fardeau par esprit de *complaisance.*

Avec les Musulmans, ils sont musulmans; chrétiens avec les Chrétiens et juifs avec les Juifs. Leur principe suprême n'est-il pas: "*Toute nation qui vous a vaincus, suivez-la et gardez-moi dans votre coeur*"[69]. Dans sa réponse au *Jâhel* (l'ignorant) le *Aaqel* (le sage-initié) dit: "*Nous devons être exactement de la croyance de chaque secte*"[70]. Et la secte dominante en Orient est, jusqu'à présent, l'Islam. Aussi le *sage-initié* dit-il à *l'ignorant: "Sache que nous devons reconnaître le Livre de Muhammad, puisque nous devons nous cacher sous le voile de la religion musulmane; et cette façon de faire est licite pour nous*"[71].

En Israël, nous voyons les Druzes accomplir les devoirs religieux imposés aux Juifs; ils soutiennent la politique juive et travaillent pour rehausser le prestige d'Israël. En Adélaïde (Australie) nous voyons les Druzes aussi zélés pour le christianisme que les Chrétiens: ils font baptiser leurs enfants, portent des croix sur leurs poitrines et sont assidus à assister à la messe chaque dimanche..., et bien d'autres pratiques...

Ce principe de *complaisance* (al-mousâyarat)

---

(69) Question N° 114 du *Catéchisme des Druzes.*

(70) Question N° 29 de l'op.cit.

(71) Question N° 30 de l'op.cit.

V. Le culte du *Veau* : réalité ou fiction?

Bien que nous sachions clairement et exactement déjà le contenu des *Epîtres de la Sagesse* et des Commentaires qui en sont faits, les gens restent perplexes et pas d'accord dans leurs opinions à propos du *Veau* et du *Schaïçabân*: les uns affirment que les Druzes rendent effectivement un culte au *Veau,* et les autres nient absolument l'existence de ce culte. Chacun a ses arguments.

Quant aux Druzes eux-mêmes, ils ne tranchent pas la question, ni positivement, ni négativement. *"Ils préfèrent se montrer toujours de l'opinion de leurs interlocuteurs et, dans la mesure du possible, se tenir dans la neutralité. Et quand ils ne peuvent pas être vraiment neutres, ils ont tendance, en général, à se ranger du côté de ceux vers lesquels penche le plateau de la balance"*[(68)], ou encore, ils sont, bien à contre coeur, de l'opinion la plus répandue... C'est là, chez les Druzes, un principe général et une sagesse constante et universelle qu'ils appliquent dans différents domaines:

---

sauf ceux qui sont nés de parents druzes. Cf. *Epîtres de la Sagesse,* 92/775 et 91/774.

(68)*Histoire politique des Unitaires Druzes*, p. 31.

En résumé, le prophète Muhammad est, selon les *Epîtres de la Sagesse, le Veau, l'Adversaire et Ibliss, le maudit.* Et Ali ben Abi Taleb est *le Buffle, Satan et le Schaïçabân.* Naturellement le Buffle est plus grand que le *Veau* et plus dangereux aussi. Quant au *Schaïçabân*, le mâle des fourmis, il est connu pour sa ruse, son hypocrisie et sa malignité. Le *Schaïçabân* est Satan, mais plus hypocrite que lui et plus malin.

Il est agréable aux *Epîtres de la Sagesse* d'employer ces expressions très fortes et ces termes grossiers, eu égard aux véxations que les Druzes ont subies de la part des Musulmans sunnites et chiites qui sont *"méchants pour les Unitaires"*[(66)], et *"qui n'ont pas eu de pitié pour les petits ni d'indulgence pour les grands... Mais ils les ont tous fait passer par le fil de l'épée les tuant et les crucifiant; il y en a qui étaient éventrés en pleine rue, et d'autres trainés vivants par les pieds; on a confisqué et volé leurs biens et leur bétail"*[(67)].

---

(66) *Epîtres de la Sagesse,* 6/61.

(67) *Epîtres de la Sagesse,* 74/664-665. Al-Moqtana y décrit les traitements infligés par les Musulmans aux Druzes: Ils ont été égorgés, démembrés, exilés, brûlés et broyés. *"Les têtes des Unitaires ont été suspendues aux cous de leurs soeurs et de leurs filles; des enfants à la mamelle ont été égorgés dans le giron de leurs mères".* Ce qui a fait que l'appel à la nouvelle religion était devenu très difficile sinon impossible. Alors Al-Moqtana fut obligé de le fermer en 435 H. Et jusqu'à présent, personne de nouveau ne peut entrer dans le druzisme ni y adhérer,

dernier,"*le prince des croyants,* (Hamza), *se lèvera donc et sa lumière resplendira très haut sur l'horizon afin de dévoiler la Sagesse des Unitaires. Après les ténèbres des imposteurs (les Musulmans), les amis de Hamza s'établiront en toute tranquillité, dans le Harâm (la Mecque); la punition et la honte tomberont sur les gens du changement et du sectarisme qui se dirigent faussement et mensongèrement vers le culte du Veau...*"[63]: "*Attendez-vous alors à entendre le cri de l'anéantissement. O vous qui troublez les nations! Vous, le reste de ceux qui adorent le Veau et l'Idole*"[64].

Les Musulmans n'ont cessé "*de se plaindre de la nomination faite par le Créateur* (c.à.d. la nomination de Hamza au rang de *Aql*), *et ils sont revenus à la Jahiliyya, en prêtant l'oreille aux propos mensongers de Satan, le bâtard, Ibn el-Barbariyya qui a prétendu être lui-même le Aql; ils sont donc revenus à leur ancienne habitude d'adorer le Veau, transgressant* (leur promesse et revenant au mensonge)"[65].

---

(63) *Epîtres de la Sagesse,* 62/483.

(64) *Epîtres de la Sagesse,* 62/485; cf. aussi 76/691.

(65) *Epîtres de la Sagesse,* 76/689: *Remontrances contre Ibn el-Barbariyya.* Il faut signaler que l'appellation *Veau* est parfois donnée dans les *Epîtres de la Sagesse,* à Ibn el-Barbariyya. Cf. 66/521; 76/696; 84/750.

L'espérance d'Al-Moqtana est qu'au jour dernier, *"le jour terrible, lorsque le temps du Veau et du Schaïçabân sera révolu"*[59] qu'il soit parmi ceux qui obtiendront l'aide de son Seigneur Al-Hakem. Dans ce même ordre d'idées, Al-Moqtana considère Hamza *"le Qaïm qui doit démolir ce que Hamâm a bâti, égorger Ibliss, étouffer les mugissements du Veau et écraser l'Arrogant"*[60].

Enfin, Al-Moqtana prie son Créateur, disant: *"Mon Dieu! l'empire de Satan est tyrannique, rabaisse-le. Le nombre des renégats et des ingrats est devenu trop grand, diminue-le. Ils nous ont combattus avec nos propres armes parce que nous étions trop sûrs de nous-mêmes; et ils sont revenus à leur ancien culte du Veau et du Buffle"*[61].

A la fin des temps, le rôle de Hamza est de venger le sang des Unitaires qui furent injustement tués au début du druzisme. Il se vengera le plus et surtout, de Muhammad et de Ali et de leurs adeptes. Il est donc *"celui qui venge le sang des Unitaires versé par le Schaïçabân et le Veau"*[62]. Au jour

---

(59) *Epîtres de la Sagesse,* 55/431.

(60) *Epîtres de la Sagesse,* 57/443.

(61) *Epîtres de la Sagesse,* 57/451.

(62) *Epîtres de la Sagesse,* 62/481.

servi de rien. Il perdit son esprit, son âme et ses sens"[55].

Ceux qui suivent Muhammad et Ali ne peuvent que produire des oeuvres mauvaises... Dans son Epître XLIX, Al-Moqtana dit: *"Vous vous êtes adonnés à des oeuvres mauvaises parce que vous avez rendu un culte au Veau et au Buffle"*[56]. Et dans son Epître LII, il les appelle à se différencier des adorateurs du *Veau* afin que le culte qu'ils rendent à Al-Hakem soit véridique. Il dit: *"A ce moment là, il leur a été renouvelé (aux âmes des Musulmans apostats et renégats) assez d'afflictions et de duperie pour démarquer les ingrats adorateurs du Veau et rectifier la généalogie des Unitaires purs"*[57].

Al-Moqtana reconnaît ensuite que Hamza est *"le Messie des temps, celui qui dévoile les secrets des sectes, qui transmet les religions, qui tue Ibliss (Muh.) et Satan (Ali); celui qui fait périr le Veau (Muh.) et le Schaïçabân (Ali), qui se venge des infidèles et des tyrans et qui écrase les querelleurs et les rebelles"*[58].

---

(55) *Epîtres de la Sagesse,* 12/129.

(56) *Epîtres de la Sagesse,* 49/363.

(57) *Epître* 52/377 dans laquelle il est fait appel aux Unitaires de rectifier leurs généalogies en ne se mariant pas avec des musulmanes.

(58) *Epîtres de la Sagesse,* 55/417.

Veau et Satan. Il dit: *"Si les Adversaires vous ont effrayés et horrifiés, et par là, ils ont gagné l'estime des croyants; si vous avez cru que notre Seigneur a été impuissant à les vaincre, n'ayant pas pu en venir à bout, vous avez (alors) renoncé à sa grâce et renié sa divinité et sa grandeur; vous êtes (ainsi) devenus polythéistes, adorant le Pharaon et Hamân, le Veau et Satan"*[(53)].

Au commencement, c'est-à-dire, durant le *Cycle du Bâr* et de *Qaïm az-zamân Shatnîl,* il n'y avait ni loi, ni prophète, ni vicaire, et il n'y avait ni renégat ni polythéiste, ni culte à rendre à Muhammad ou à Ali. Dans l'Epître XII, Hamza dit: *"Il n'y avait pas dans sa doctrine* (c.à.d. celle de Schatnîl) *d'obligation légale, ni de culte à rendre au Veau et au Buffle, ni de soufiste maussade, ni de polythéisme persan"*[(54)].

Mais les prophètes et les lois sont venus et tout a été corrompu: il n'y eut plus aucune utilité à la religion. Et lorsque ce fut le *Cycle* de Muhammad et de Ali, tout a été défini-tivement perdu: *"celui qui s'est attaché à leur loi et à la législation du Veau et du Buffle, il n'eut, de la religion, que de la balayure; et son Prophète (Muh.) et son Vicaire (Ali) ne lui ont*

---

(53) *Epîtres de la Sagesse,* 10/84.

(54) *Epîtres de la Sagesse,* 12/117. *Le Veau et le Buffle* sont respectivement Muh. et Ali.

lui"[49]*; il est le Schaïçabân, le Buffle* et *l'Arrogant. Schaïçabân* est un mot de l'ancien arabe; il signifie le mâle des fourmis (Naml), différent du mâle des abeilles (Nahl) qui est Hamza, (et chez les Noseiris, c'est Ali, le prince des abeilles)[50]. La fonction du mâle des fourmis est ultra secrète et hypocrite comme Ali, le fondateur du polythéisme: lequel est plus dangereux et plus hypocrite que l'incrédulité et l'apostasie, *"car le polythéisme est plus caché que le rampement de la fourmi noire, sur une bure noire, dans la nuit la plus noire"*[51].

Et maintenant après cette exposition de principes, il est nécessaire de citer litté-ralement les textes de la *Sagesse* afin que le lecteur soit sûr de la véracité de ce que nous disons et qu'il sache que, dans ce que nous avançons, il n'y a aucune fausse accusation.

Dans l'Epître X, Hamza exhorte les Unitaires à craindre l'oeuvre des *Adversaires* et à ne pas renoncer à Dieu en suivant Muhammad et Ali[52] qui sont *le*

---

(49) *Epîtres de la Sagesse,* 12/119.

(50) Cf. Abou-Moussa el-Hariri, *Les Alaouites Noseiris, Ed. 1984.*

(51) *Epîtres de la Sagesse,* 18/196.

(52) Chez les Druzes, la doctrine du *Vicaire* est plus dangereuse que celle du Prophète, parce qu'elle la dépasse par son hypocrisie.

Le prophète Muhammad est comme cela: c'est le plus grand Ibliss[43]; Il est le diable. *"Et le diable... c'est le fondateur de la loi et de la doctrine musulmanes"*[44]; il est *"l'enragé et le fasciné"*[45], *"prodigue en mensonge"*[46] et né d'adultère. Car, *"l'adultération des femmes est caractéristique de sa doctrine, et ses adeptes sont nécessairement des enfants adultérins"*[47].

Muhammad est donc l'Adversaire et Ibliss; il est spécialement et spécifiquement le *Veau* qui s'est empressé de se soustraire à l'obéissance du *Aql*, c'est-à-dire, par sa doctrine imposée, il est sorti de la religion unitaire, religion universelle avant la venue des prophètes et des docteurs de la Loi. Il est aussi le plus grand *Veau* parce qu'il a persécuté les Unitaires par la violence et l'épée[48].

Ali ben Abi Taleb est *Satan;* et *"Satan est autre qu'Ibliss. Il dépendait d'Ibliss et rusait avec*

---

(43) Cf. les *Epîtres* suivantes:71/608, 611; 60/470; 56/439; 63/488; 67/445...

(44) *Epîtres de la Sagesse,* 53/395.

(45) *Epîtres de la Sagesse,* 71/615.

(46) *Epîtres de la Sagesse,* 71/617.

(47) Amir Es-Sayyed, *Commentaire de l'Epître 13,* p. 511.

(48) Cf. *Epîtres de la Sagesse,* 12/121.

en ce siècle. Dans son *Epître aux femmes,* Hamza dit: *"Il* (le Seigneur Al-Hakem) *vous les a montrés* (Muh. et Ali), *il ne vous est pas permis d'obéir à aucun des deux. La religion interdit cela. Ne voyez-vous pas que Dieu leur a donné le monde d'ici-bas* (dunia)*! Ne vous a-t-il pas signifié par là qu'ils ont baissé en estime* (daniyyn)*? Car le monde d'ici-bas a été nommé ainsi parce qu'il porte à la bassesse. Et que ces deux personnes se parent des vêtements du Seigneur et sont devenus ses deux Adversaires.* Comment serait-il permis qu'on les adore en notre temps"[39].

Ensuite, l'*Adversaire* c'est Ibliss, le diable. *"Le Créateur a appelé l'Adversaire Ibliss parce qu'il n'a ni père ni mère connue"*[40]. Il ressemble à l'Adversaire de jadis qui a existé sans le vouloir du *Aql*[41] car (le mot) Ibliss dérive de *Ib* (ou Ab père) et du verbe de négation *laïssa;* ce qui signifie: *"celui qui n'a pas de père";* autrement dit, *fils adultérin,* c'est-à-dire *"il est venu au monde sans le vouloir d'un père qui donne le jour"*[42].

---

(39) *Epîtres de la Sagesse,* 18/200.

(40) *Epîtres de la Sagesse,* 12/113.

(41) *Epîtres de la Sagesse,* 13/136.

(42) Amir Es-Sayyed, *Commentaire de l'Epître 13,* pp. 506-511.

s'appelait *Ibliss, le diable;* dans le *Cycle du Bâr,* (ou Bâri), l'Adversaire s'était incarné dans *Hârat ben Tarmâh*[37]; et dans le *Cycle d'Al-Hakem,* c'est *Darazi* qui est devenu l'Adversaire.

Cependant, *Adversaire* n'est plus, dans le druzisme, uniquement réservé à ceux qui se sont opposés au *Aql* et qui l'ont querellé à travers les Soixante-Douzes *Cycles de man-ifestation*[38]; mais tout ce qui n'est pas Unitaire est *Adversaire*. En effet, adversaire est un terme qui, dans le druzisme, porte de nombreuses acceptations: il signifie (en général) ceux qui sont de religion juive, chrétienne et musulmane; et (en particulier) les *adversaires* ce sont les chefs de ces religions qui, par conséquent, sont des *Veaux;* imparfaits dans leur raison et dans leur science.

Le Prophète Muhammad et son Vicaire Ali ben Abi Taleb sont les deux *adversaires* les plus en vue

---

(37) *Epîtres de la Sagesse,* 12/114.

(38) Les Druzes croient que Dieu a dévoilé sa divinité et ses cinq Ministres (Houdoud), et qu'il a apparu au monde 72 fois. Cependant nous n'en connaissons que 10 seulement. Chaque fois qu'Il apparaissait, apparaissaient avec Lui l'*Adversaire* et le *Vicaire,* à l'exmple des autres Ministres, mais sous des noms différents. Cf. *Entre la Raison et le Prophète,* chapitre *"la manifestation"*.

et le qualificatif de *Ahl et-Haqq*, Gens de la Vérité, et autres, c'est pour faire pendant aux fidèles des autres religions qui sont considérés par eux comme polythéistes, incrédules, parti de l'erreur et gens de l'ignorance et du néant.

IV. Le *Veau* et le *Schaïçabân*

Nous sommes donc sûrs que l'*Adversaire* c'est le *Veau*, et tout adversaire est un *Veau*. Il ne faut pas comprendre par là que l'adversaire est, chez les Druzes, contre Dieu, comme c'est le cas du *Veau* d'or des fils d'Israël. Il est plutôt l'adversaire du *Aql* comme au commencement de la création; il est aussi l'adversaire du *Seigneur des temps*, Hamza, dans le *Cycle présent;* car, selon la doctrine druze, il n'est pas possible qu'il existe un être qui soit l'adversaire de Dieu, parce que *"Dieu n'a ni égal, ni semblable, ni pareil, ni adversaire"*.

Au commencement existait donc l'Adver-saire. Dans le *Cycle d'Al-A'lâ, le Très-Haut,* cet Adversaire

---

et les Ministres unitaires.

Nous ne connaissons donc des enseignements de *Darazi*, que ce que nous en a transmis *Ibn Quazaouli* dans *Mir'ât ez-zamân*, Le Miroir du temps, où il dit: *"Il (Darazi) a décidé pour leur âme (celle des habitants de Wadi Taymallah) la transmigration, et leur a rendu licites le vin, l'adultère, et de s'emparer des biens de ceux qui ont une autre croyance que la leur et de les tuer. Il est resté chez eux, leur rendant licite tout ce qui était auparavant prohibé, jusqu'à sa mort"*[(35)].

Mais ceux qui ont porté le nom de *Darazi*, s'ils n'ont pas eu la chance d'avoir ses enseig-nements; du moins, ils ont eu celle de se rapporter à lui en portant son nom. L'appellation druze dérive donc de *Darazi*; mais leur doctrine est celle de Hamza.

Bien que les Druzes nient *Darazi* et ses enseignements, bien plus, ils le rejettent et le maudissent, ils ont été appelés *Veau*x ou adorateurs du *Veau* et adeptes du *Veau* , à cause de leur relation avec *Darazi* que Hamza a appelé: le *Veau*. C'est pour cela que les Druzes rejettent cette appellation et lui préfèrent celle des Unitaires. Le surnom de *Banou Maarouf*, Fils de la connaissance[(36)],

---

(35) Ibn-Qazaouli, *Mir'ât az-zamân, Le Miroire du temps*, d'après Aboul-Mahâssen, *An-Noujoum az-zâhira*, 4/184.

(36) parce qu'ils ont connu la divinité apparue clairement dans le monde. Au singulier*le Connaisseur,* c.à.d. celui qui connaît Dieu, la Sagesse

disant: 'Va en Syrie et prêche la nouvelle religion dans les montagnes; car leurs habitants sont faciles à conduire'. Darazi s'en fut en Syrie et il est descendu dans la vallée de Wadi-Taymallah, à l'ouest de Damas, de la province de Baniâs. Il lut le livre aux habitants, les a fait opter pour Al-Hakem et il leur a donné de l'argent"[33].

Un grand nombre de gens avaient suivi *Darazi* et ils furent appelés par son nom. Cependant, *Darazi* n'a écrit, de sa propre main, aucune lettre qui fait allusion à ses enseig-nements; et il n'a obtenu aucune lettre de celles que possédait Hamza, bien qu'il lui en ait souvent réclamé quelques-unes, mais en vain.

D'ailleurs, Hamza a fait allusion à cela en disant: *"De nombreuses fois, il m'avait demandé de lui remettre quelques-uns des livres des Unitaires, de ceux que j'avais composés, mais je ne l'ai pas fait parce que j'en craignais une mauvaise conséquence... Et je ne fis rien pour lui donner quelque chose de ce qu'il demandait. Alors, il s'est enveloppé d'orgueil et Il a dit: Je suis meilleur que lui et supérieur à lui. Il ne savait pas que le vainqueur est celui que le Seigneur avait aidé"*[34].

---

(33) Voir Ibn-Qazaouli, *Mir'ât az-zamân, Le Miroire du temps*, auquel se réfère Abou l-Mahâssen, in *An-Noujoum az-zâhira,* 4/184.

(34) *Epîtres de la Sagesse,* 16/181.

connaissance et sans science et ils ont oeuvré pour d'autres que pour notre Seigneur. Ils ont bâti haut (c.à.d. la religion unitaire) mais sans fondemant"[31].

Et de même que l'Adversaire et le Vicaire représentaient l'incrédulité et le polythéisme, ainsi *Darazi* et Al-Borzo'i représentent la même chose, du temps de Hamza.

Et vu le grand désaccord qui s'enve-nimait entre Hamza et *Darazi* et leurs adeptes, il a éclaté entre les deux groupes une guerre acharnée qui a failli liquider Hamza et ses hommes si *"Al-Hakem ne s'était pas montré à la fenêtre de son palais qui donne sur la Mosquée (où se déroulait le combat). Quand la foule eut vu le Calife, ils ont arrêté le combat et se sont retirés. Le siège fait autour de Hamza fut levé et, grâce à l'aide apportée par Al-Hakem, Hamza est redevenu ce qu'il était auparavant"*[32].

Darazi s'est enfui du Caire: *"les gens s'étant révoltés contre lui et ayant voulu le tuer... (Alors) Al-Hakem l'a désavoué, par crainte de ses sujets; mais il lui a envoyé secrètement de l'argent en lui*

---

(31) *Epîtres de la Sagesse*, 16/181, par allusion au Coran, S. 38/76.

(32) *Histoire politique des Druzes Unitaires,* pp.64-65; elle se réfère à deux *Epîtres de la Sagesse*, 1O et 19, ce qui est très rare chez les auteurs druzes.

maison du Seigneur. En apparence, il est religieux, mais en réalité, il est traître"[26].

Ensuite Hamza lui écrivit une nouvelle lettre d'avertissement dans laquelle il dit que l'imamat *"ne peut pas être partagé entre deux personnes en même temps; car c'est une lumière totale, rayonnante et indivisible qui ne saurait être maculée par un égal, ni transformée par un Adversaire"*[27]. Et, faisant allusion à *Darazi*, il dit encore: "le *Veau* est l'Adversaire du *Seigneur des temps*"[28].

Comme jadis l'Adversaire a cessé de désobéir au *Aql* dans le *Cycle d'Al-A'lâ*, le Très-Haut [29], ainsi *Darazi* a cessé de désobéir à Hamza dans le *Cycle d'Al-Hakem.* Et comme l'Adversaire avait, au commencement, un Vicaire qui l'aidait dans son arrogance et dans sa désobéissance, ainsi *Darazi* avait, dans le Cycle présent, un Aide, c'est Al-Borzo'i auquel *"Darazi a ouvert la porte du malheur et de l'incrédulité"*[30] et tous les deux *"ont parlé sans*

---

(26) *Epîtres de la Sagesse*, 35/257.

(27) *Epîtres de la Sagesse*, 19/203.

(28) *Epîtres de la Sagesse*, 9/75; 41/311.

(29) *Le Cycle d'Al-A'lâ* est le premier dans lequel Dieu s'est manifesté. Nous savons qu'il ya 72 cycles dans lesquels Dieu s'est manifesté dans le monde.

(30) *Epîtres de la Sagesse*, 16/181.

avec son Créateur"[23] exactement comme avait fait l'Adversaire au commencement de la création.

Et de la sorte, *Darazi* est devenu arrogant, orgueilleux, tyrannique, prétentieux, jaloux et rebelle. Hamza dit de lui: *"Arrogant est Nachtakyne Darazi qui s'est enflé d'orgueil lors du dévoilement sans science ni certitude. Il est l'Adversaire dont vous avez entendu dire qu'il apparaîtra de dessous la robe de l'Imâm et il prétend être du rang de ce dernier; et il aura un mugissement: du bruit pour rien, puis son feu s'éteindra"*[24].

Il a dit encore de lui qu'il est *"le Cochon, l'Adversaire spirituel qui compare son âme à celle de notre Seigneur. Je l'ai convoqué et il fut d'accord avec moi et il a reconnu, par nécessité et non par esprit religieux, qu'il me devait soumission"*[25].

Et Hamza de mettre les autres en garde contre *Darazi*, en leur disant: *"Gardez-vous de tomber dans la tentation de Satan. L'Adversaire paraîtra de la*

---

(23) *Epîtres de la Sagesse*, 6/50-51.

(24) *Epîtres de la Sagesse*, 10/92°93. Le *Cycle de la Manifestation* est le contraire du *Cycle de la Dissimulation.* Le premier c'est quand Dieu se dévoilera et se montrera à ses créatures sous forme humaine; le second c'est quand Dieu se cache de ses créatures pour que personne ne pourrait Le connaître.

(25) *Epîtres de la Sagesse*, 16/178.

la nouvelle religion convenue, afin de devancer Hamza et d'en être le chef. Alors *"il s'est empressé"* et il a effectivement proclamé la nouvelle religion en 407 H/1016 AD, alors qu'il s'était entendu avec Hamza de ne la proclamer qu'en 408 H.

Le désaccord étant devenu de plus en plus grand entre les deux hommes, Hamza en a été très peiné dans son âme. Et dans sa colère, il écrivit à *Darazi* une lettre pleine de reproches: *"Si tu te dis croyant, reconnais que je suis l'Imâm, comme tu l'avais fait au début... pour que soit vrai le culte de notre Seigneur Al-Hakem... Si tu t'exécutes, les coeurs des gens se tourneront vers nous et ils ne nous critiqueront plus"*[22].

Mais *Darazi* a persévéré dans son orgueil et dans son entêtement, et *"il s'est montré Adversaire"*, devenant aux yeux de Hamza et de tous les Druzes, "l'Adversaire maudit", "le *Veau* empressé", symbole de tout adversaire

Auparavant, *Darazi* était *"obéissant à son Créateur, mais, par la suite, il a montré un esprit de rivalité; et le maudit a réclamé l'imamat pour lui-même... Il s'est ainsi montré Adversaire et a discuté*

---

(22) *Epîtres de la Sagesse*, 16/182.

Darazi a tiré profit de sa position au Palais et de sa totale mainmise sur le trésor public et, au dire de Hamza, *"il a été égaré par les faux dinars et la fausse monnaie qu'il frappaié"*[19]. Il s'est même permis, de sa propre initiative, d'écrire des lettres aux prédicateurs ismaëlites: "Il a écrit à *Khatkyne*, chef des prédicateurs de l'ismaëlisme, lui demandant de se rallier sous sa bannière; comme il a écrit au prince héritier *Abd El-Rahîm ben Elias* que Al-Hakem avait chargé de gouverner pour le compte de son fils Ali; il a encore écrit à l'intendant des domestiques turcs... et à bien d'autres"[20], les appelant tous à adhérer à sa prédication.

Voyant la soumission des gens à ses volontés et à cause du pouvoir qu'il avait obtenu, il s'est cru plus digne de l'imamat que Hamza, à son tour, avait rassemblé des prédicateurs, leur avait écrit et avait fait de sa résidence à *"la Mosquée Raïdân, hors des murailles du Caire, leur lieu de rassemb-lement"*[21].

Et *Darazi* avait cru, lui aussi, qu'il pouvait proclamer, unilatéralement, et avant le temps prévu,

---

(19) *Epîtres de la Sagesse*, 10/93.

(20) *Histoire d'Al-Antaqui,* imp. Catho., Beyrouth, pp. 222-223.

(21) Dr. Abbas Abou-Sâleh, *Histoire politique des Druzes Unitaires on Orient arabe;* Beyrouth, 1980, p. 6O.

III. Le *Aql* c'est Hamza, et le *Veau* c'est *Darazi*

Hamza ne pouvait imaginer ce qui s'était passé au commencement de la création entre le *Aql* et l'*Adversaire* s'il ne lui était arrivé une chose pareille avec Nachtakyne *Darazi.*

En effet, Hamza et *Darazi* s'étaient mis d'accord, en 405 H/1014 AD, de proclamer dieu, le Calife Al-Hakem, 6ème Calife Fatimite, et d'appeler les gens à adhérer à cette nouvelle religion qu'ils ont appelée: Religion Unitaire. Et ils s'étaient entendus à se distribuer les rôles.

Il fut donné à *Darazi* de prêcher dans la Cour du Calife et de prêcher les fonctionnaires. Al-Hakem a été satisfait de lui: "Il lui a confié la conduite des affaires, l'élevant aux plus hautes dignités, de sorte que les Ministres, les Généraux et les Savants devaient se tenir à sa porte. Aucune affaire ne leur était réglée qu'en passant par lui: l'intention d'Al-Hakem était qu'on se soumette à Nachtackyne *Darazi* et qu'on lui obéisse"[18].

---

(18) Aboul-Mahâssen, *Al-Noujoum az-zâhira..., 4/184.*

Aide, c'est le *Nafs*: Mais l'Adversaire n'a cessé de ruser et de quereller jusqu'à ce qu'il eût trouvé un Vicaire, c'est-à-dire un Aide pour le soutenir contre le *Aql* et le *Nafs* à la fois. Cet Aide, venu au secours de l'Adversaire, a été appelé *Mouâlef* ou Assâs, Familier ou Vicaire. *"Le Assâs a été appelé Aide parce qu'il aide l'Adversaire dans toutes ses actions corrompues"*[16].

A cause de cela, "la dualité existe, désormais, dans toutes choses: la lumière et les ténèbres, l'obéissance et la désobéissance, la croyance en l'Unité de Dieu et l'apostasie; il y a des âmes immortelles et des corps mortels, des obligations unitaires et des lois imposées, un cycle d'apparition et un cycle de disparition"[17].

Cette dualité entre le *Aql* et le *Nafs* d'un côté, et de l'Adversaire et du Assâs d'autre côté, est donc la cause du Bien et du Mal dans le monde. On peut dire aussi qu'elle est la cause du druzisme unitaire d'une part et de l'existence de l'incrédubilité et du poly-théisme, dans toutes les autres religions, d'autre part.

---

(16) Ms., 1441, folio 10b.

(17) Ms., 1441, folio 15b.

de lui envoyer un Aide contre l'Adversaire contrevenant. Dieu lui a alors créé le *Nafs*. Et ainsi l'Adversaire a été la cause de l'existence du *Nafs*. Cette existence est donc due à l'opposition qu'il y eut entre la lumière du *Aql* et les ténèbres de l'Adversaire, car le *Aql* et l'Adversaire exis-tent dès le début de la création.

Cependant, l'influence de la lumière du *Aql* est prépondérante dans le *Nafs*, car la plus grande partie dont est formé le *Nafs* vient de cette lumière[13].

"L'Adversaire fut appelé Veau (Ijl), parce qu'en lui, la raison est imparfaite: il est pressé (ajoûl) dans ce qui'il veut; il mugit"[14]. Ce qui signifie que l'Adversaire s'est empressé de se rebeller contre le *Aql*, il est "ajoûl"; c'est un "Ijl", *Veau*[15], et il mugit parce qu'il veut faire entendre à Dieu sa voix mugissante afin de devancer le *Aql* pour s'approcher de Dieu et demander pour lui-même l'imamat et la supériorité.

Mais le Très-Haut a deviné son intention; Il l'a rejeté et Il a trouvé au *Aql* une Force: il lui a créé un

---

(13) *Epîtres de la Sagesse*, 6/50-51.

(14) *Epîtres de la Sagesse*, 35/257.

(15) En arabe, il y a ici un jeu de mot: Ijl, ajoûl veut dire à la fois: Veau et pressé ou empressé.

retourner contre la Raison , et presque l'emporter sur lui, si Dieu ne lui avait créé un aide, *l'Ame universelle.*

Dans les exégètes de *la Sagesse druze*, il est dit que *"le Aql, quand il fut installé dans l'Unité de son Créateur et qu'il se fut établi dans la quiétude du Vrai, il est né de cela une Froideur qui est la Rebellion. Et quand le Aql se fut installé dans la quiétude en lui-même et qu'il fut jeté sur lui-même un regard de vaine gloire, et qu'il se vit sans pareil, et sans adversaire qui lui tient tête et sans égal... il est né de ce regard sur soi, l'Adversaire maudit"*[12].

L'Adversaire est donc né de *"l'admira-tion que le Aql a eu pour lui-même"*, sans qui'il l'ait voulu. C'est là une preuve de la puissance de Dieu qui crée de la lumière du *Aql* les ténèbres de l'Adversaire, et du bien le mal.

Toutefois, Dieu a donné l'ordre à l'Ad-versaire de se soumettre au *Aql.* Celui-ci a refusé, a querellé, et, s'étant enflé d'orgueil, il a réclamé, pour lui-même, la supériorité sur le *Aql.* Alors, le *Aql* a compris que ce fut pour lui une épreuve de Dieu, le jour où il s'était regardé pour s'admirer lui-même. Aussi a-t-il reconnu sa faiblesse et son impuissance et il a demandé pardon à Dieu pour la faute commise, en le suppliant

---

(12) Ms., 1441, dans la B.N., folio 8a et suivant.

II. Chez les Druzes, le *Veau* c'est l'Adversaire

Le *Veau* n'est pas, chez les Druzes, une idole en or, comme il est chez les Juifs et les Musulmans. Pour eux, le *Veau*, c'est l'Adver-saire (ad-doudd) du *Seigneur des temps* (c.à.d. Hamza) lequel est le Chef (Qaïm) par qui existent les cinq Ministres (Houdoud)[10]. L'Adversaire se compare donc au *Seigneur des temps,* Injustement et sans preuves. *"Gardez-vous de penser qu'il s'agit d'un Adversaire à notre Seigneur (Al-Hakem), car il (Al-Hakem) n'a pas de semblable ni d'égal; et l'Adversaire ne saurait être Adversaire que dans la forme et la ressemblance"*[11]. Ce qui signifie que le *Veau* est cet Adversaire qui existe depuis toute éternité en rebellion contre le *Seigneur des temps*, la *Raison universelle* (le *Aql*) afin de lui nuire. Cet Adversaire allait se

---

(10) Les 5 Houdouds sont: la Raison universelle (*Al-Aql*), l'Ame universelle (*An-Nafs*), le Verbe (*Al-Qalimat*), le Prédécesseur (*As-Sabeq*), le Successeur (*At-Taly*). Ils sont de nature spirituelle; mais ils apparaissent sous forme humaine à chaque *Cycle.* Au *Cycle* d'Al-Hakem, ils étaient respectivement: Hamza, Ismaël, Muhammad ben Wahab, Abou l-Kheir Salamat et Baha Ed-Dine El-Mouqtana.

(11) *Epîtres de la Sagesse,* 9/75, et 41/311; 3ème édition, Paris, 1984. Une nouvelle édition est apparu en 2002.

aux Egyptiens. Ensuite, il les fit fondre et en fit une tête de *Veau*. Quant aux mugissements du *Veau*, ce sont la terre et les cailloux envolés de dessous les sabots du cheval de Gibril. Le Samaritain s'en fait saisi et les avaient fourrés dans la gueule de ce *Veau*. Une tempête s'était alors levée et elle a sifflé dans la gueule du *Veau*. Alors, on entendit une voix qui fut appelée mugissement[9].

Si le Coran n'est pas d'accord avec la Bible sur l'identité de celui qui a fabriqué le *Veau*, Aaron ou le Samaritain, tous les deux sont d'accord pour mentionner la grande colère de Moïse, qu'il a fait brûler le *Veau*, l'a moulu en une poudre fine, en a saupoudré l'eau et l'a fait boire aux fils d'Israël. Comme si l'incroyant buvait l'incrédulité, qui est le *Veau*; comme on boirait une boisson parce que l'incrédulité s'insinue facilement dans les coeurs des incroyants.

---

(9) Cf. Al-Zamakhchari dit: "Le Samaritain saisit une poignée de terre prise dans la trace du cheval de Gibril le jour où il avait traversé la mer et il l'a fourrée dans la bouche du Veau et ce fut un Veau mugissant" in "*Al-Kachchaf*", sur S.7/148 et 20/88.

Et dans la Sourate VII, il est dit: *"Moïse étant absent, les fils d'Israêl firent, avec leurs parures, le corps d'un Veau mugissant. Ne voyaient-ils pas que ce Veau ne leur parlait pas et ne les dirigeait pas? Ils l'adoptèrent, et c'est ainsi qu'ils furent injustes"*(3). Et il y est dit encore: *"Ceux qui ont adopté le Veau seront atteints par la colère de leur Seigneur et ils seront humiliés en cette vie"*(4).

Et dans la Sourate XX, il est dit: *"Il a fait sortir pour eux un Veau, un corps mugissant. Ils dirent alors: voici notre dieu et le dieu de Moïse! Il a donc oublié"*(5). Et la Sourate XI décrit ainsi ce *Veau*: *"c'est un Veau rôti"*(6). *Et dans la Sourate LI: "C'est un Veau gras"*(7).

Et les exégètes du Coran de commenter: un Samaritain(8) a collecté des bracelets, des bijoux et des pendants d'oreilles que les Juifs avaient volés

---

(3) S. Al-Aarâf, 7/148. Il a pris "*corps*" c.à.d. "un corps de chair et de sang comme les autres corps" (Al-Zamakhchari).

(4) S. Al-Aarâf, 7/152.

(5) S. Taha, 20/88.

(6) S. Houd, 11/69.

(7) S. Al-Zariyat, LI/26.

(8) Dans la Bible, il s'agit d'Aaron; frère de Moïse. Mais les Musulmans accusent un *Samaritain*, car ils considèrent Aaron, l'un des saints de Dieu; alors que les Samaritains sont les ennemis des Juifs.

surface de l'eau qu'il fit boire aux fils d'Israël" ... Car, Aaron avait dit au peuple: *"qui de vous a de l'or? Ils s'en dépouillèrent et le lui remirent. Il le jeta dans le feu et il en sortit le Veau que voici. Et Dieu châtia le peuple de ce qu'ils avaient fabriqué le Veau qu'avait fait Aaron"*[1].

Cette même histoire biblique est racontée telle quelle dans le Coran, mais dans une version différente qui a été l'objet de commentaires nombreux et divers, selon les penchants de chaque exégètes et selon son appartenance à telle ou telle secte musulmane ou qui se réclame de l'Islam.

Dans la Sourate II, il est dit: *"Nous avons fait un pacte avec Moïse durant quarante nuits; puis, en son absence, vous avez préféré le Veau: vous avez été injustes... Moïse dit à son peuple: vous vous êtes lésés vous-même en préférant le Veau. Revenez à votre Créateur... Moïse est revenu à vous avec des preuves irréfutables; puis, en son absence, vous avez préféré le Veau. Vous avez été injustes... Ils furent abreuvés du Veau, en leur coeur, à cause de leur incrédulité"*[2].

---

(1) Exode, 32/4,8, 19-20, 24; cf. Nahum, 9/18; Psaume 106/19.

(2) S. de la Vache 2/51, 34, 92, 93; cf. S. de la Femme 4/153. L'expression *"quarante nuits"* signifie que Dieu a donné la Bible à Moïse, après 40 nuits passées. Cf. Exode 24/18 et Dt. 9/9.

sur l'ensemble des données de la doctrine et de la religion druzes telles qu'elles sont exposées dans les *Epîtres de la Sagesses*.

Quel est donc, véritablement, le vrai sens du *Veau* et du *Schaïçabân*, dans le druzisme, depuis le début jusqu'à la fin? C'est à cette grave question que nous allons essayer de donner une réponse.

I. Le *Veau* dans la Bible et le Coran

Dans la Bible, il est dit que lorsque Moïse gravit la montagne pour prier Dieu en faveur des fils d'Israël, Aaron, son frère, se tint devant le peuple et *"reçut de leurs mains les anneaux d'or, fit fondre le métal dans un moule et en coula une statue de Veau. Alors ils s'écrièrent: Voici ton Dieu, Israël. Celui qui t'a fait monter du pays d'Egypte... Ils l'adorèrent et lui offrirent des holocaustes..."*.

Quand Moïse fut descendu de la montagne et *"qu'il fut près du camp, il aperçut le Veau et les choeurs de danse. Moïse alors s'enf-lamma de colère... il se saisit du Veau qu'ils avaient fabriqué, le brûla, le moulut en une poudre fine dont il saupoudra la*

aux seuls livres druzes où il est utilisé dans une large mesure: des dizaines de fois, le mot est répété dans les *Epîtres de la Sagesse* et dans les glossaires religieux.

Il se pourrait que, dans le druzisme, le terme *Schaïçabân* ait la même signification que dans la langue arabe pré-islamique où il est très rarement employé; toutefois, ce mot peut avoir, chez les Druzes, une signification très spéciale à allusion diabolique. Le mot est donné à Ali ben Abi Taleb, à cause de l'attitude hostile que les Druzes ont vis-à-vis de lui.

Notre but n'est pas seulement de clarifier la question du *Veau* et du *Schaïçabân*; il est aussi de résoudre un problème qui reste obscure et très compliqué dans l'esprit de la plupart des gens; la vérité est devenue confuse pour eux et ils se sont égarés entre la réalité et l'apparence.

C'est cela qui nous amène à faire des recherches minutieuses dans toutes les *Epîtres de la Sagesse* , afin de comprendre, parfai-tement et à fond, la vraie signification que les Druzes donnent à ces deux mots, *Veau* et *Schaïçabân*, et de saisir exactement la réalité qu'ils symbolisent. Nous marcherons ainsi sur les pas des Druzes, dans le fond comme dans la forme, sans tenir compte des illusions.

Pour ce faire, nous nous baserons uni-quement

aujourd'hui encore, nous nous demandons: est-ce que les Druzes adorent-ils vraiment le *Veau*? Et qui est, au juste, le *Veau*? et quelle est sa véritable signification?

Et ce qui a rendu la chose encore plus compliquée, c'est quand les orientalistes et les historiens se sont mis à l'expliquer, chacun selon son opinion et suivant ce qu'il a vu, lu ou entendu. Surtout que les Druzes n'apportent aucune réponse à la question, ni ne dévoilent rien de ce mystère; ils ne soufflent même pas un seul mot là-dessus. Mais à présent, nous avons, entre les mains les *Epîtres de la Sagesse* dans leur texte intégral et dans leurs explications druzes. Aussi, nous allons oser ex-primer notre opinion sur cette question et la trancher clairement.

Chez les Druzes, la question du *Veau* est basée sur le Coran. Et à son tour, le Coran se base sur la Bible. Toutefois, ches les Druzes, cette question dépasse, dans sa signification, la Bible et le Coran à la fois. Dans les *Epîtres de la Sagesse* , cette question est totalement retournée, et, chez les Druzes d'aujourd'hui, le *Veau* se perd dans un mystère effrayant et se fourvoie dans les méandres des contradictions.

La même remarque s'applique aussi au mot *Schaïçabân*. Ce terme est si rarement employé dans la langue arabe. Son emploi est exclusivement réservé

Introduction

La religion druze est, dès son origine, enveloppée de secret et de *dissimulation* (taqiyya). Tout au long de son histoire à travers les siècles, elle se dit musulmane quant aux apparences, mais en réalité, elle est une injure à l'Islam dont elle maudit le Prophète, le Coran et toute la doctrine.

Dans l'essence da la doctrine druze qui est exprimée dans les *Epîtres de la Sagesse,* se trouvent des énigmes et des symboles nombreux auxquels il est bon de s'arrêter afin d'en connaître fidèlement et scientifiquement la vérité, bien que nous n'ignorons pas la diffuculté d'une telle entreprise.

Un événement particulièrement impor- tant et dont les gens n'ont cessé de parler à travers tous les siècles, mérite certainement q'on en fasse l'objet de recherche et d'éclaircissement: il s'git de la question du *Veau* et du culte q'on lui rend. Les Druzes eux-mêmes n'y apportent aucune lumière, et ils ne laissent pas aux autres la possibilité d'en résoudre l'énigme. Les gens restent donc perplexes devant cet événement: ils n'en comprennent pas le sens, ni la signification, ni à qui l'attribuer véritablement. De sorte que,

Dans la Collection « *Esôterikos* »

1 — La Religion Druze	1985
2 — Le Catéchisme Druze	1985
3 — Muhammad dans la Religion Druze	1985
4 — Le Veau et le Schaïçabân dans la Religion Druze	1985
5 — Le Dictionnaire Druze	1985

Collection *«Esôterikos»* ④

Anwar Yassyn

LE VEAU ET LE SCHAÏÇABÂN dans la CROYANCE DRUZE

13 Août 1985

Millénaire de la «Manifestation» de Dieu en la personne d'El-Hakem, et de l'«Apparition» de la Raison Universelle en la personne de Hamza ben Ali, Maître du Temps et Seigneur de tout existant.

Traduit de l'arabe par **Karl Leprestre**

Paris 1985

LE VEAU
ET LE SCHAÏÇABÂN
dans la
CROYANCE DRUZE